وزارة التـــعليـــم العـــالي والبـــحث العـــلمي

جامـــعة محـــمد لمـــين دبـــاغين –سطيـــف 2–

كليـــــة الحـــقوق والعلـــوم السيـاســـية

قـــسم العـــلوم السيـــاسية

مطبوعة بيداغوجية حول:

ابستمولوجيا علم السياسة

مقياس ابستمولوجيا علم السياسة الموجه لطلبة السنة الثانية جذع مشترك علوم سياسية

من إعداد: د/ سالم نسرين

السنة الجامعية: 2024-2025

مقدمة

تُعد الابستمولوجيا أو نظرية المعرفة من بين أهم فروع الفلسفة التي تُعنى بدراسة طبيعة المعرفة وشروط إمكانها وكيفية بنائها، وتتداخل مع العديد من المفاهيم مثل العلم والمنهج والنظرية والمعرفة والحقيقة، وهي لا تكتفي بتقديم أدوات لفهم العلم، بل تبحث في بنيته ومفاهيمه وحدوده وإمكاناته، مما يجعلها ضرورة لكل طالب علم يسعى إلى إدراك ما وراء الظواهر، لا الاكتفاء بوصفها أو تفسيرها فقط، ومن هذا المنطلق تُصبح نظرية المعرفة أداة نقدية لتحليل المعرفة الإنسانية، خاصة في مجالات العلوم الاجتماعية، وعلى رأسها علم السياسة.

إنّ علم السياسة لم يتطور بمنأى عن الأزمات والعوائق الابستمولوجية التي رافقت ظهور العلوم الإنسانية عموماً، فقد ظل لزمن طويل أسير الفلسفة السياسية أو الأيديولوجيا، إلى أن بدأ يتبلور كميدان مستقل بحد ذاته ذي منهج وأدوات ونماذج تحليلية خاصة، هذا الانتقال لم يكن سلساً، بل شهد صراعات بين التوجهات الوضعية والسلوكية والبنيوية والنقدية وما بعد الحداثة، وكلها تنبثق من رؤى ابستمولوجية متباينة حول طبيعة المعرفة السياسية.

وعليه سيتناول هذا المقياس عدداً من المحاور التي تعالج تطور المعرفة السياسية عبر مفهومي التراكم والقطيعة، إشكالية الشك واليقين، نماذج توماس كون، وعوائق غاستون باشلار، فضلاً عن الاتجاهات النقدية المعاصرة حول أسس المعرفة ذاتها، وفي الاخير الغاية من هذا المسار الدراسي هي تنمية فكر نقدي علمي لدى الطالب، يجعله قادراً على التعامل مع السياسة كموضوع للدراسة لا كمجال للمواقف المُسبقة.

الإشكالية

انطلاقا بمعرفتنا بالموضوع المراد تحليله يمكن طرح الإشكالية التالية:

هل يمكن اعتبار علم السياسة علماً بالمعنى الإبستمولوجي ووفقا لنظرية المعرفة؟ وما هي العوائق والمحددات التي تؤثر في مسار تطوره؟ وهل المعرفة السياسية تخضع لنفس منطق التراكم والنماذج كما في باقي العلوم الطبيعية؟

أهداف المقياس

تبرز أهمية هذا المقياس في أنه يسعى إلى إكساب الطالب القدرة على تحليل علم السياسة ليس كمجموعة معارف جاهزة، بل كمجال معرفي مفتوح على الأسئلة والمراجعة والنقد.

ومنه يسعى هذا المقياس إلى تحقيق جملة من الأهداف التعليمية والمعرفية التي تمكّن الطالب من:

1. ضبط مفهوم الابستمولوجيا وتمييزها عن باقي فروع المعرفة والمفاهيم ذات الصلة، والتعرف على أنواع المعرفة ومعانيها.
2. التعرف على علاقة الشك المنهجي باليقين، وإمكانات بناء معرفة علمية.
3. تحليل التطور التاريخي والمعرفي لعلم السياسة، من خلال استيعاب مراحل نشأته، وتحولاته بين التراكم المعرفي والقطيعة الإبستمولوجية.
4. دراسة نماذج تحليلية وفكرية كبرى مثل نموذج توماس كون، ومنهج غاستون باشلار، لفهم كيفية تشكّل الثورات المعرفية والعوائق الابستمولوجية.
5. التعرف على الاتجاهات النقدية في دراسة نظرية المعرفة وتنمية التفكير النقدي في التعامل مع قضايا علم السياسة.

نتائج التعلم

عند الانتهاء من دراسة هذا المقياس سيكون الطالب قادراً على:

1. فهم المفاهيم الأساسية للإبستمولوجيا، والتمييز بين مستويات المعرفة وإدراك خصوصية المعرفة في العلوم الاجتماعية وخاصة في علم السياسة.
2. التعرف على تطور علم السياسة كحقل معرفي مستقل، وفهم طبيعة التحولات التي عرفها بين الطابع الفلسفي والطابع العلمي التجريبي.
3. اكتساب القدرة على التمييز بين المقاربات التراكمية والقطيعة والثورة المعرفية في فهم تطور المعرفة السياسية، والوقوف عند الإسهامات النظرية لكل من غاستون باشلار وتوماس كون في هذا السياق.
4. إجراء تقييم نقدي لنماذج المعرفة السياسية عند دراسة كل مقاربة، ومساءلة مدى علمية المقاربات المختلفة التي تتناول الشأن السياسي.
5. توظيف مبادئ وأساليب التحليل الإبستمولوجي في التفكير السياسي وفي دراسة القضايا والمواضيع ذات الشأن السياسي، بما يطوّر مهاراته في البحث العلمي وصياغة الإشكاليات الفكرية.

شبكة التقييم

يتم تقييم الطالب بناءً على التقييم المستمر في القسم والاختبار النهائي، وفق توزيع زمني ومعرفي يراعي مدى استيعاب الطالب للمادة طيلة السداسي.

يُطلب من الطالب خلال فترة الدراسة إنجاز بحوث تطبيقية بشرط أن تتناول نماذج من أهم القضايا الإبستمولوجية المعاصرة المطروحة في مجال علم السياسة وليس في بقية العلوم بحيث أن هذا الجانب مهم جدا في التقييم، وذلك وفق ما هو مبرمج في خطة التدريس.

تتطلب هذه القضايا من الطالب قراءة معمّقة وتحليلاً نقديًا، مع الالتزام بتفسيرها وتقييمها باستخدام أدوات علمية تتماشى مع الأطر النظرية والمنهجية المعتمدة في علم السياسة، لا سيما فيما يخص نظرية المعرفة والاتجاهات النقدية الحديثة.

محاور المقياس

المحور الأول: مدخل الى الابستمولوجيا

المحور الثاني: جدلية الشك المعرفي واليقين الابستمولوجي في بناء المعرفة (مقارنة بين ديكارت والغزالي)

المحور الثالث: تطور علم السياسة حسب مبدأ التراكمية المعرفية

المحور الرابع: تطور علم السياسة حسب مبدأ القطيعة الابستمولوجية

المحور الخامس: العوائق الابستمولوجية لتطور علم السياسة حسب غاستون باشلار

المحور السادس: مبدأ الثورات المعرفية في علم السياسة

المحور السابع: النماذج المعرفية لتوماس كون في دراسة علم السياسة

المحور الثامن: النسبية العلمية في دراسة ونقد نظرية المعرفة عند كارل بوبر

المحور التاسع: البرامج البحثية عند إمري لاكاتوش

المحور الأول: مدخل الى الابستمولوجيا

تعريف الابستمولوجيا:

لغة:

الابستمولوجيا *Epistémologie* هي لفظ مركب من كلمتين يونانيتين:

- ***Epistémè*** وتعني **العلم أو المعرفة**
- ***Logos*** وتعني **الدراسة أو النظرية او النقد**

وبذلك يكون معنى الابستمولوجيا هو :**نظرية المعرفة العلمية** أو **نقد المعرفة** أو **فلسفة العلوم**[1].

اصطلاحًا:

تُعرّف الابستمولوجيا بأنها الدراسة النقدية للمبادئ، والفرضيات، والنتائج التي توصلت إليها العلوم، وتهدف إلى إبراز **أصلها المنطقي** لا **النفسي**، وقيمتها **الموضوعية**. فالأبستمولوجيا تختلف إذن عن دراسة مناهج العلوم من جهة، وعن دراسة تراكيب القوانين العلمية من جهة ثانية، لأن:

- الدراسة الأولى هي جزء من **المنطق التطبيقي**
- والثانية هي جزء من **الفلسفة الوضعية** أو **فلسفة التطور**.

وقد اعتبر الفلاسفة الفرنسيون، مثل **غاستون باشلار** أن الابستمولوجيا هي **فلسفة العلوم** *philosophy of science* بالمعني الحديث، وهذا ما نجده عند **شارل لالاند**، بل إن عبارة *Epistémologie* أصبحت تُستعمل كبديل لمصطلح **فلسفة العلوم**. أما **جورج كانغيلام**، فقد ألّف كتابًا بعنوان *Épistémologie et histoire des sciences* أي

[1] جميل صليبا، *المعجم الفلسفي*، ج 2 (لبنان: دار الكتاب اللبناني، د. ط، 1972)، ص 33.

الابستمولوجيا وتاريخ العلوم، مما يدل على ارتباط الابستمولوجيا أيضًا بتطور المعرفة العلمية تاريخيًا[1].

تبرز أهمية الابستمولوجيا باعتبارها فرعًا من فروع الفلسفة يُعنى بالمعرفة العلمية، حيث تُركّز على فحص **صلاحية العلوم كنمط من أنماط المعرفة**، من خلال دراسة الأسس والمنطلقات التي تستند إليها، والمعايير التي تبررها وتمنحها صفة العلمية.

ويُجمع المفكرون على أن الابستمولوجيا تمثل "**الدراسة النقدية للمبادئ أو الفرضيات والنتائج العلمية، بهدف بيان أصلها المنطقي (لا النفسي) وقيمتها وأهميتها الموضوعية**"، كما ورد في **معجم لالاند الفلسفي** *André Lalande*، وكذلك في **معجم لاروس الفلسفي الفرنسي** *La Rousse*

كتعريف اجرائي يمكن القول أنّ الابستمولوجيا هي فرع من الفلسفة يُعنى بدراسة المعرفة العلمية من حيث أصلها ومنهجها وشروطها وحدودها وقيمتها الموضوعية. وتُعد تحليلًا نقديًا للمفاهيم والنظريات والنتائج التي تنتجها العلوم، بهدف التحقق من صلاحيتها ومنطقها الداخلي. وتتميز الابستمولوجيا عن نظرية المعرفة بتركيزها على المعرفة العلمية تحديدًا، كما تتقاطع مع فلسفة العلوم دون أن تُطابقها، حيث تستمد أدواتها من الفلسفة، لكنها تعتمد في موضوعها على مناهج العلم ونتائجه، وتُعتبر وفقًا لغاستون باشلار مدخلًا أساسًا لفهم تطور المعرفة العلمية من خلال مفاهيم القطيعة والثورة المعرفية.

مفهوم المعرفة:

يعرف البعض المعرفة على العموم بأنها ذلك الفعل الذي تستطيع بواسطته الذات ان تسيطر عقليا على موضوع معين بهدف اكتشاف خصائصه المميزة، ويختلف العلماء والفلاسفة بعد ذلك في تصورهم لفعل المعرفة، ففي الوقت الذي يقّر العلماء بأن اصل المعرفة هو البناء العقلي للموضوع، ذلك البناء الذي يزداد دقة وتحديدا بفضل تطور المناهج والمفاهيم

[1] المرجع سبق ذكره، ص 33.

العلمية عبر تاريخ العلم نفسه، نجد أنّ همّ الفلاسفة ينصرف إلى مسائل عامة تتعلق بالمعرفة مثل إمكان قيامها أصلا وطبيعتها وحدودها ووسائلها[1].

فهل يمكن الوصول إلى المعرفة؟

من المهم التمييز بين مفهومي **الإبستمولوجيا *(Epistémologie)*** و**نظرية المعرفة *(Théorie de la connaissance)***؛ فبينما تعنى نظرية المعرفة بكل أشكال المعرفة البشرية، فإن الابستمولوجيا تركز تحديدًا على **نقد المعرفة العلمية**، باعتبارها الأداة المركزية لفهم كيفية تشكّل العلم وتقدّمه، وبالتالي فهي مدخل أساسي لتحقيق وبلورة نظرية معرفة عقلانية ومتماسكة ومبرّرة[2].

غير أن موضوع الابستمولوجيا عند الإنجليزيين يُعد مرادفًا لمصطلح "نظرية المعرفة"، وهي الدراسة النقدية المشار إليها عند لالاند، يقول رونز: "**الابستمولوجيا أحد فروع الفلسفة الذي يبحث في أصل المعرفة وتكوينها ومناهجها وصحتها**"، أما الألمان فهم يميزون بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا كونهم يعنون بها فلسفة العلوم جميعها، وأن التمييز بين الابستمولوجيا والميتودولوجيا ونظرية المعرفة وفلسفة العلوم **لا يمكن دائمًا ضبطه بدقة**، لكونها جميعًا متداخلة ومتشابكة. فنظرية العلم هي عبارة عن تفكير فلسفة العلم أي أنه مجرد ابتداع ذاتي عقلي، والابستمولوجيا مجال بحث يأخذ من العلم منهجًا، ومن الفلسفة فكرًا، وهي دراسة للمعنى التاريخي للنظرية العلمية، وكذلك للمعنى الذي تحدده الوقائع العلمية في النظريات والقوانين، وتداخلاتها المتعلقة بالمعرفة العلمية[3].

[1] حسن عبد الحميد، نظرية المعرفة العلمية (الابستمولوجيا)، مترجما (روبير بلانشيه)، 1977، مطبوعات الجامعة، ص. 13.

[2] هيام بن فريحة، "الإبستمولوجيا والتحليل المركب للمفاهيم والظواهر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية"، *المجلة الجزائرية للسياسات العامة*، العدد 13 (جوان 2017)، ص 129.

[3] نوقاس خدومة ورياح خيرة، *القطيعة الإبستيمولوجية عند غاستون باشلار* (مذكرة ماستر في الفلسفة، جامعة ابن خلدون تيارت، 2015م)، ص. 7.

الشكل 01: الاتجاهات الثلاث حول العلاقة بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا

الاتجاه	العلاقة؟	الرأي	التبرير
الاتجاه التحليلي الفلسفي الكلاسيكي (الفلاسفة الناطقون بالانجليزية)	✓نعم	الابستمولوجيا هي نظرية المعرفة أو مرادفة لها	تقول دائرة المعارف الفلسفية البريطانية :(1967) "الابستمولوجيا هي نظرية المعرفة"، وتتناول دراسة طبيعة المعرفة، وحدودها، وأسسها.
الاتجاه الوضعي	✗لا	يرفض أن يكون للابستمولوجيا علاقة مباشرة بنظرية المعرفة الفلسفية	يعارضون اعتبار الابستمولوجيا مرادفة لنظرية المعرفة، ويرون أنها تتناول تطور المعرفة العلمية أكثر من الفلسفية.
اتجاه تركيبي أو وسطي	جزئيًا/ بشكل غير مباشر	يرى وجود علاقة غير مباشرة بين نظرية المعرفة والابستمولوجيا مع تطور المفاهيم	يقرّون بوجود علاقة ولكن يؤكدون أن الابستمولوجيا تطورت تاريخيًا بسبب العلم، وليست مطابقة لنظرية المعرفة التقليدية.

المصدر: من إعداد الأستاذة بالاعتماد على ما ورد في كتاب: حسن عبد الحميد، نظرية المعرفة العلمية (الابستمولوجيا)، مترجما (روبير بلانشيه)، (مطبوعات الجامعية، 1977)، ص ص. 13-15.

مصادر المعرفة:

من أين نعرف؟ ما الأصل الذي يُعتمد عليه في توليد المعرفة: الحواس؟ العقل؟ الحدس؟ التجربة؟ النص؟

الجدول التالي يوضح باختصار مصادر المعرفة وأبرز دعاتها:

الشكل 02: مصادر المعرفة

المصدر	الفلاسفة الممثلون	التعريف
التجربة الحسية ***Empiricism***	جون لوك، ديفيد هيوم، بيكون	المعرفة تبدأ من الحواس فقط لا شيء في العقل إلا وقد مرّ بالحس.
العقل ***Rationalism***	ديكارت، ليبنتز، سبينوزا	المعرفة نابعة من العقل والمبادئ القبلية كالرياضيات والمنطق.
الحدس أو الإشراق ***Intuitionism***	الغزالي، برجسون، التصوف الإسلامي	المعرفة تأتينا بشكل مباشر وباطني (تصوّف، تأمل).
النقل أو الوحي ***Revelation***	علماء الكلام، الفقهاء، اللاهوت	المعرفة تُكتسب من مصدر خارجي معصوم (النص المقدّس).

المصدر: من إعداد الأستاذة بالاعتماد على: زكي نجيب محمود، نظرية المعرفة، (القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، 1956)، ص ص. 35-59.

أركان نظرية المعرفة (العوالم الثالث):

أصبح البحث في نظرية المعرفة أو تعدد معانيها ومدلولاتها يتضمن الاشارة إلى 3 عناصر أساسية وفقا لما جاء به كارل بوبر وهي:

- وجود الذات العارفة والتي نعني بها الباحث (الانسان)
- وجود موضوع أو الشيء المعروف وهو ما يتضمنه العالم الخارجي
- المعرفة وهي كل ما تنتجه الذات العرفة من معارف[1].

ولما نطبق على علم السياسة وموضوعاته نجد:

1. **الذات العارفة (الباحث السياسي أو المفكر السياسي):** في علم السياسة تمثل الذات العارفة **الفرد الذي يقوم بملاحظة الواقع السياسي وتحليله وتفسيره**، سواء كان باحثًا أكاديميًا أو مفكرًا أو محللًا سياسيًا أو حتى صانع قرار.
2. **الموضوع المبحوث (الواقع السياسي الخارجي أو الظاهرة السياسية)** وهو يشمل كل ما يتصل بالحياة السياسية في العالم الواقعي، مثل: السلطة والدولة والحكم، المؤسسات السياسية والدستورية والأحزاب، الرأي العام، الانتخابات، العلاقات الدولية والنظم السياسية، والمعروف أن الظاهرة السياسية لها خصوصية تميزها عن بقية الظواهر في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كالتعقيد والتكرار والتجدد.
3. **المعرفة السياسية (النتاج المعرفي الذي تنتجه الذات حول الموضوع):** وهي تمثل ما يكتبه الباحث أو ينتجه من: نظريات سياسية (مثل الواقعية، الليبرالية...) أو نماذج تحليلية (كالنظم، الخيارات العقلانية، التحليل المؤسساتي).

[1] وليد شملال، *أبستمولوجيا علم السياسة: محاضرات ألقيت على طلبة السنة الثانية علوم سياسية، جذع مشترك*، السنة الجامعية 2020/2019، جامعة الجزائر 3، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، ص. 12.

تداخل الابستمولوجيا مع المفاهيم ذات الصلة:

الميتودولوجيا: *Methodology:* علم المناهج

وهي تدل على جملة العمليات العقلية والخطوات العملية التي يقوم بها العالم من بدء عمله أو بحثه حتى الانتهاء منه من أجل كشف الحقيقة والبرهنة عليها. فإذا كانت الإبستمولوجيا تتناول النقد لمبادئ العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد قيمتها وحصيلتها الموضوعية كما يقول لالاند، فإن الميتودولوجيا تقتصر فقط على دراسة المناهج العلمية دراسة وصفية تحليلية لبيان عملية الكشف العلمي، وطبيعة العلاقة التي تقوم بين الفكر والواقع. ويوجد فرق بينهما في مستوى التحليل، فمستوى التحليل في الميتودولوجيا مقصور في الغالب على الدراسة الوضعية، في حين أن الإبستمولوجيا فهي مستوى البحث النقدي الذي يتجاوز مجرد الوصف، ليشمل تقييم المناهج، وتحليل شروط المعرفة، وفحص مدى موضوعيتها وصلاحيتها[1].

الأنطولوجيا: *Ontology* علم الوجود

تُعد الأنطولوجيا والإبستمولوجيا مجالين أساسيين في الفلسفة، يختلفان من حيث الموضوع والاهتمام، وإن تقاطعا في بعض الطروحات. فالأنطولوجيا تبحث في طبيعة الوجود، وتهتم بالتمييز بين ما هو موجود وما هو غير موجود، كما نجد عند بارمنيدس وأفلاطون وكانط وليبنتز، حيث تُطرح الأسئلة حول الكينونة، والعدم، والجوهر. أما الإبستمولوجيا، فهي نظرية المعرفة التي تهتم بدراسة شروط المعرفة وإمكانياتها ومصادرها وحدودها، أي أنها تسأل: "**كيف نعرف؟**". وتبرز العلاقة بين المجالين بشكل خاص في النقاش الحديث، حيث ظهرت الإبستمولوجيا المتطبعة كما طرحها "كواين"، والتي ترى أن المعرفة لا تحتاج إلى تبرير ميتافيزيقي خارجي، بل تعتمد فقط على المنهج العلمي التجريبي، رافضةً بذلك الطابع المعياري الذي ميز الإبستمولوجيا التقليدية. في المقابل، ظلت الأنطولوجيا وفية لأسئلتها

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 16.

الميتافيزيقية حول الوجود، وما يجعل العلاقة بين المجالين أقرب إلى التوتر الفلسفي بين من يؤسس المعرفة على الوجود، ومن يؤسسها على المنهج والتجربة[1].

الاكسيولوجيا: *Axiology* علم القيم

يعد مبحث القيم والذي يطلق عليه بالإكسيولوجيا من المباحث التي تتعرض لدراسة المثل العليا، والكشف عن ماهيات القيم التي يسعى الجميع لتحقيقها في حياتهم، وثمة ثلاث قيمٍ أساسية هي: (الجمال، والخير، والحق)، ولكل واحدة منها علم خاص يدرس موضوعاتها.

إن الإكسيولوجيا يراد بها: العلم الذي يبحث فيما هو(قيّم) و(ثمين) و(جديد)، وتكون الفلسفة المتصلة به هي فلسفة القيم أو نظرية القيم، وهي مبحث أخلاقي تدرس مشكلتي الخير والشر، وتطرح مسائل أساسية تتعلق بهما من حيث المفهوم، والصفاتية، والوعي، والمصدرية، والتطبيق[2].

العلاقة بين الإبستمولوجيا (نظرية المعرفة) والأكسيولوجيا (علم القيم) تكمن في أن **المعرفة ليست محايدة دائمًا، بل تتأثر بالقيم التي يتبناها الفرد أو المجتمع** .فالإبستمولوجيا تدرس كيفية إنتاج المعرفة، بينما تساءل الأكسيولوجيا مدى خضوع هذه المعرفة للقيم الأخلاقية أو الأيديولوجية.

ابستمولوجيا علم السياسة:

هي عبارة عن دراسة نقدية للمعرفة السياسية، وفي هذا السياق نطرح أسئلة حول: **طبيعة المعرفة السياسية؟ مدى علميتها؟ وهل يمكن تحقيق المعرفة السياسية؟** عبر الدراسة النقدية لموضوعات علم السياسة وللمناهج (استقرائية، تجريبية) والنظريات (كنقدها مثلا من حيث افتراضاتها ومبادئها ومعرفة حدودها المعرفية).

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 18.

[2] ليث العتابي، مدخل عام الى القيم او الاكسيولوجيا، معهد الدراسات الدينية والفلسفية، 2024/11/04، تم الاطلاع يوم: 2024/06/25، في:

http://bit.ly/3TIrnA7

فمثلا نختار بعض من نظريات العلاقات الدولية ونطبق عليها باختصار –أمثلة فقط لأن التطبيق يتعدى هذا التحليل– ما يلي:

الشكل 3: أمثلة تطبيقية

النظرية	النقد
النظرية الواقعية	تجاهل القيم والأخلاق وأن الدول دائما هي فواعل عقلانية، فنتساءل حاليا عن أسباب الحروب والنزاعات؟ وعن التسارع الرهيب في سباقات التسلح الذكية؟
النظرية اللبرالية	أفرطت في التفاؤل بدور التعاون والمؤسسات الدولية في تحقيق السلام، وأن المنظمات الدولية تخفف من حدة فوضوية النظام الدولي لكن التساؤل المحوري يدور حول فشل هذه المنظمات في التعامل مع الحرب في غزة؟
نظرية جون غالتونج	يتحدث عن العنف البنيوي والثقافي ويعتبر أن الفقر مثلا هو من الأسباب الكامنة لبروز الازمات والنزاعات فهل الفقر يكون نتيجة لعنف بنيوي أم لظروف اجتماعية واقتصادية؟

المصدر: الجدول من إعداد الأستاذة.

المحور الثاني: جدلية الشك المعرفي واليقين الابستمولوجي في بناء المعرفة (مقارنة بين ديكارت والغزالي)

يعدّ منهج الشك من أبرز مباحث الفلسفة بمختلف نواحيه، وكما يمكن له أن يكون عملية عشوائية، فهو قادر على أن يكون عملية منظمة يقوم بها الفرد أملاً في الوصول لمعرفة صحيحة خالية من الشبهة والريب. ويعد الشك المنهجي الذي ينافي الشك المطلق مبحثًا لا غنى عنه لأي مفكر عن معرفته واستعماله للوصول للحقيقة وإدراك اليقين. وإن كان الشك بمعناه العام مذموماً وغير مجدياً في الفلسفة والفكر، ولا يؤدي لمعرفة مفيدة حقيقية، فإن نموذج الشك القائم على المنهجية قد شكل المثال الأبرز للأداة المخَّاصة للمعارف والسالكة سبيل الوصول للحقيقة، وتتجلى هذا المنهجية في مضمون الكثير من العلوم والمعارف التي وصل إليها العلماء والفلاسفة[1].

ويحوز الغزالي مكانة كبيرة في مختلف العلوم والبيئات لما قدمه من تراث ثري في شتى العلوم من الفلسفة والمنطق والتصوف والفقه الإسلامي وغيرها. ويعتبر من أبرز من تبنى المنهج الشكي ومضى على منواله، إذ نرى تجليات ذلك في كتابه "المنقذ من الضلال" الذي لخص فيه تجربته مع الشك ورحلة معاناته بين المعارف والمسالك راجياً الحقيقة الصحيحة والطريق المستقيم. وبعد خمسة قرون تقريبًا من وفاة الغزالي برز هذا المنهج من جديد على يد الفيلسوف الفرنسي رينيه ديكارت، أحد أعلام الفلسفة الفرنسية وروادها، والذي كان له أيضاً حضور في العلوم الرياضية والطبيعية والطب. وقد تبنى هذا المنهج في ظل النهضة الفكرية الأوروبية، في خضم انتشار الشك المطلق لدى الكثيرين من أقرانه. ويتراءى لنا استعمال

[1] بلال الفقيه، "المنهج الشكي بين المنقذ من الضلال للغزالي ومقال عن المنهاج لديكارت"، *ATEBE* ، العدد 10، 2023، ص. 2. https://doi.org/10.51575/atebe.1391291.

ديكارت لمنهج الشك المنهجي من خلال كتابه "مقال عن المنهاج" الذي يشبه في أسلوبه وتناوله لهذا الموضوع كتاب المنقذ للغزالي[1].

تعريف الشك:

يمكن تعريف الشك *Skepticism* على أنه ذلك التوجه الذي يقود صاحبه إلى الارتياب وعدم الأخذ بادعاءات المعرفة، وذلك من خلال الطعن في صحتها، والتشكيك في مدى موثوقيتها، إلى جانب السعي المتواصل للوصول إلى الحقيقة، وعدم الرضا بالواقع، والمتشككين الفلسفيين بطبيعتهم قد لا يقبلون فكرة وجود المعرفة من الأساس، باستثناء ما يمكن إثباته بالتجربة العملية، التي تؤتي نتائج محسوسة يمكن مشاهدتها لتصديقها، وللشك في الفلسفة أهمية كبيرة، تتمثل في تحفيز الأفكار والمعارف الجديدة، التي تسعى جميعها لإيجاد تفسيرات للحقيقة[2].

أنواع الشك:

يحظى الشك في الفلسفة بمكانة مهمة، وتشير إحدى التعريفات إليه في السياق الفلسفي على أنه "موقفٌ عقلي"، يتوصل إليه الفرد بعد طول تدبرٍ وعمق تفكير، ولا يكون هذا الفرد جاهلاً بما يشك فيه، ولكنه يختار **التردد بين "نقيضين"**، بمحض اختياره، ويُقصد بهذا التردد بين النقيضين أن يقف بين أمرين، **دون أن ترجح كفة عقله لأحدهما دون الآخر، ودون أن يصدر أحكامه عليهما؛ رفضًا أو قبولاً**، وبالنسبة لأنواع الشك، فهما نوعان:

- **الشك المذهبي:** يُعرف على أنه شكٌ حقيقي، يتسم بأنه مطلقٌ وهدّام، وتكون الغاية منه الشك فقط.

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 2.

[2] ضحى الطلافيح، تعريف الشك في الفلسفة، 2022/08/29، في:

http://bit.ly/3TuOqhI

- **الشك المنهجي (الاكاديمي والمعرفي):** هو على العكس من النوع الاول إذ يُهدف منه إلى الوصول إلى **اليقين** والمعرفة بشكلها الحقيقي، ويُعرف الشك المنهجي على أنه "منهج" يتولى الفيلسوف، أو الباحث، تطبيقه وفرضه على ما يمتلكه من معلوماتٍ وأشكال معرفة، بمحض إرادته وذلك لاختبارها، من أجل التخلص من الأضاليل، والمغالطات، والأكاذيب، وغيرها من الشوائب التي قد تكون في عقله، ويسعى الفيلسوف كذلك، من خلال الشك المنهجي إلى تدريب عقله على التحليل والنقد، حتى يغدو قادرًا على إقامة قضايا يقينية، اعتمادًا على مبادئ أولية مميزة وواضحة، يتوصل إليها عبر إجراء النقاشات بخصوص مبادئ أولية سابقة[1].

خصائص الشك المنهجي:

- **منهجي:** يعتبر الشك المنهجي "منهجيًا" بطبيعته؛ لأنّ من يخوض به يتبناهُ كمنهجٍ خالصٍ للتفكير فقط، ولا يتباهُ كمذهبٍ يسير على خطاه في جميع جوانب حياته.
- **مؤقت:** الشك المنهجي مؤقت؛ لأن دوره ينتهي عندما يحقق الفرد الذي يتبناه غايته، والتي تتمثل في التوصل إلى اليقين.
- **ليس غاية:** الشك المنهجي ليس غاية يُطمح لتحقيقها؛ بل هو محض "وسيلة" مؤقتة يُهدف منها تحقيق غاية اليقين والوصول إليه.
- **الوصول إلى اليقين:** كما ذكرنا سابقًا، فإن الغاية الرئيسية من الشك المنهجي هي الوصول إلى اليقين، ولهذا، فإنّ الفيلسوف عندما يبدأ بالشك، فإنه ينتهي باليقين، **واليقين هو العلم الذي لا يشوبه شك وهو نقيض الشك.**

[1] ضحى الطلافيح، ما هو الشك المنهجي، 2023/03/09، في:

http://bit.ly/4lAZXru

- **بنّاء:** الشك المنهجي ليس هدامًا، بل هو بناء، باعتبار أنه يُشجع الفرد على التدقيق، والنظر، والبحث، وهو بهذا الشكل ينفع الفرد الذي يتبناه، ويساهم بما فيه خيرٌ للمجتمع والحضارة ككل[1].

مظاهر منهج الشك عند أبو حامد الغزالي:

1. الشك في التقليد:

يشير الغزالي إلى أهمية فحص ما يحصله الفرد من معارف عن طريق التقليد، من أجل التمييز بين ما هو صحيح منها وما هو باطل، سعيًا للوصول إلى قناعة عقلية تؤهله إما لقبول هذه الموروثات بعد التوثق منها، أو لرفضها بعد التحقق من بطلانها. وقد كان التقليد، خصوصًا في عصر الغزالي، منتشرًا بشدة بين المسلمين، إذ تحول إلى أداة لتعميق الخلاف والعداوة بسبب التعصب للمذاهب والآراء. دفع ذلك الغزالي إلى التمرد على هذا النمط، ومحاولة الوقوف على حقيقته وجدواه. ويستحضر الغزالي في هذا السياق حال الأمم التي أعرضت عن دعوات الأنبياء لا بدليل أو حجة، وإنما لأنهم وجدوا آباءهم على ملة معينة، فقلّدوهم دون تمحيص، كما أشار القرآن الكريم: "**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**"، حتى لو كان أولئك الآباء لا يعدلون ولا يهتدون[2].

ويقول الغزالي في المنقذ من الضلال:

" وكان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري، وريعان عمري... حتى انحل عني رباط التقليد، وانكسرت العقائد الموروثة، إذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على النصرانية، وصبيان اليهود لا ينشؤون إلا على اليهودية، وصبيان المسلمين لا ينشؤون إلا على الإسلام... فقلت في نفسي: إن الحق في التقليد المجرد تعارضت فيه الأديان، ولا بد من البحث عن الأصل، والتمييز بين العقائد الموروثة والعقائد الحقة"[3].

---

[1] مرجع سبق ذكره.

[2] بلال الفقيه، المرجع سبق ذكره، ص. 90.

[3] مرجع نفسه.

2. الشك في الحسّيات:

توصّل الغزالي إلى أن الحواس ليست مصدرًا موثوقًا دائمًا للمعرفة اليقينية، إذ يمكن أن تخدع وتضلل. لذا بدأ يشكّ في صدق دلالاتها، قائلاً:

" من أين الثقة بالحواس؟ وأقواها حاسة البصر، وهي تنظر إلى الظل فتراه واقفًا غير متحرك، فتحكم بنفي الحركة، ثم بالتجربة والمشاهدة – بعد ساعة – تعرف أنه متحرك".

وبذلك رفض التسليم المطلق للمحسوسات بعد أن تأكد من قدرتها على خداع الإنسان[1].

3. الشك في العقليات:

بعد أن تزعزت ثقته في الحواس، انتقل الغزالي إلى اختبار العقليات والأوليات، وتساءل إن كانت هذه المعارف العقلية آمنة من الشك كما يُعتقد. ولكنه راوده الشك مجددًا حين قال لنفسه:

"هل تأمن أن تكون خدعتك العقليات كما خدعتك المحسوسات؟!

وشبّه ما يدركه العقل أحيانًا بما يراه النائم من خيالات وأوهام، ما جعله يشكّ في صحة العقليات كما شك في الحسيات.

لكن الغزالي لم يستمر في هذا الشك المطلق طويلًا، إذ رأى أن الشك الكلي أمر مستحيل، ولا يمكن إنكاره إلا بالاعتماد على مبادئ عقلية أولية ضرورية، تكون قاعدة للمعرفة اليقينية لاحقًا، وهو ما مهد لاحقًا لتحوله نحو التصوف واليقين القلبي[2].

⇦ من خلال هذا يتبين أن الشك المنهجي لدى الإمام أبي حامد الغزالي يمثل مرحلة تأسيسية في مشروعه المعرفي، كما عرضها في كتابه *المنقذ من الضلال*، وقد تبنى الشك لا بوصفه موقفًا عدميًا، بل كوسيلة منهجية تهدف إلى التمييز بين المعرفة الحقيقية والظنية، في سبيل بناء يقين راسخ.

---

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 91.

[2] مرجع نفسه.

فقد انتقل من الشك في المعارف الحسية والعقلية: بدأ الغزالي بمراجعة شاملة لمصادر المعرفة المعتمدة، فطعن في موثوقية الحواس، مستعرضًا أمثلة على قابليتها للخطأ والخداع. كما شك في المبادئ العقلية الأولية، متسائلًا عن مدى يقينها، وراوده احتمال أن تكون مثلها مثل الأحلام في المنام، مما أدخله في أزمة معرفية حادة تمثلت في الوقوع في حالة من **الشك الكلي أو السفسطة.**

إلى أزمة التيه المعرفي: أفضى هذا الشك الواسع إلى انسداد في الأفق المعرفي، حيث أدرك الغزالي أن الشك في المبادئ الأولية يمنع من إقامة أي برهان عقلي، إذ أن البرهان نفسه يحتاج إلى مقدمات يقينية. وقد وصف هذه المرحلة بأنها مرض معرفي عميق لم يجد له شفاءً في أدوات العقل المجرد وحدها.

الحل عبر النور الإلهي: تمثلت نقطة التحول في تجربة الغزالي بحدوث ما أسماه "نورًا يقذفه الله في القلب"، وهو تجربة وجودية باطنية أعادت له الثقة بالضروريات العقلية، دون المرور بسلسلة من الأدلة المنطقية. وهكذا انتهى إلى القناعة بأن العقل وحده لا يكفي، بل يحتاج إلى تأييد إلهي وبصيرة روحية[1].

يمكن القول إن الشك المنهجي عند الغزالي:

- **أداة معرفية** لتصفية المعارف وتمييز الصواب من الخطأ.
- **مؤقت ومنظم،** لا يهدف للهدم بل لإعادة التأسيس.
- يقوم على **نقد العقل والحس والتقليد.**
- ينتهي إلى **يقين مركب** يجمع بين العقل والإشراق الصوفي.

الشك المنهجي عند ديكارت:

لقد انبهر " ديكارت " بعلم الرياضيات منذ صغره وذلك لما تتميز به من بداهة ووضوح ودقة في النتائج كما حاول أن يحدث ثورة أو بالأحرى ما يسمى بالقطيعة مع المعرفة

[1] مرجع سبق ذكره، ص ص. 91-93.

الكلاسيكية ومنهجها، وذلك بوضع منهج جديد يقي الفكر من الوقوع في الخطأ، فالخطأ حسبه لا يعود إلى العقل باعتباره (أعدل الأشياء توزعا بين الناس) هذه (القوة التي يطلق عليها في الحقيقة اسم العقل أو النطق، واحدة بالفطرة عند جميع الناس)، وإنما يعود إلى الطريقة التي يسلكها كل فرد في توجيه ذهنه أثناء بحثه عن الحقيقة. ولذلك نجده عندما مارس الشك في بداية منهجه الفلسفي، وضع نصب عينيه : **أن لا شيء في المعرفة البشرية مطلق ، وأن لا طريقة من الطرق التي توصل إليها القدماء معصومة ، بل الكل يخضع للفحص**[1].

مظاهر الشك عند ديكارت:

رأى ديكارت أن العقل في ذاته ليس المشكلة، بل المشكلة تكمن في كيفية استخدامه. لذلك، اعتمد على الشك المنهجي كوسيلة لتحرير العقل من الموروثات والآراء الزائفة، ولبناء معرفة يقينية. فالشك – في نظره – خطوة ضرورية لبلوغ الحقيقة.

❖ **هدف الشك (اليقين):**

أكد ديكارت أن الشك ليس غاية في ذاته، بل وسيلة للوصول إلى معرفة راسخة لا تقبل الشك. فقد أراد أن يؤسس العلوم على "صخر ثابت" لا على "رمال متحركة"، أي على مبادئ يقينية غير قابلة للدحض[2].

❖ **الشك في الحواس:**

بدأ ديكارت بالتشكيك في الحواس، باعتبارها مصدرًا غير موثوق للمعرفة، فهي خادعة ومحدودة. وهذا جعله يستبعد الحس كمصدر أساسي لليقين، مشيرًا إلى أن الحكمة تقتضي عدم الثقة في من خدعنا مرة[3].

❖ **اليقين العقلي الكوجيتو:**

[1] خوني ضيف الله، ولخضر حميدي، دراسات وابحاث في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة، دار صبحي للطباعة والنشر، الجزائر، 2014، ص. 15.

[2] مرجع نفسه.

[3] مرجع نفسه.

وسط هذا الشك الجذري، توصل ديكارت إلى حقيقة لا تقبل الشك: الكوجيتو (أنا أفكر إذن أنا موجود)، وهي الحقيقة الأولى اليقينية التي لا يمكن دحضها، لأنها تنبثق من فعل التفكير ذاته. اعتمد ديكارت بعد الكوجيتو على الأفكار الفطرية كحقائق عقلية أولى، مثل فكرة الكائن الكامل، والحقائق الرياضية، باعتبارها لا تعتمد على الحواس ولا يمكن إنكارها عقليًا.

❖ **المنهج العقلي:**

صاغ ديكارت منهجًا فلسفيًا عقلانيًا مكونًا من أربع قواعد:

- **قاعدة البداهة:** قبول ما يبدو واضحًا بذاته.
- **قاعدة التحليل:** تقسيم المشكلة إلى أبسط عناصرها.
- **قاعدة التركيب:** ترتيب الفكر من الأبسط إلى الأعقد.
- **قاعدة الإحصاء:** مراجعة كاملة لكل خطوات الاستدلال.
- **العقل كمصدر للمعرفة:** أكد ديكارت أن العقل هو أعدل الأشياء توزيعًا بين الناس، وأنه الميزان الذي تُوزن به المعرفة. لكن لا يكفي أن نملك عقلًا جيدًا، بل يجب توجيهه بمنهج سليم لضمان إنتاج معرفة صحيحة[1].

وفيما يلي مقارنة بين الشك المنهجي عند الغزالي وديكارت:

[1] المرجع سبق ذكره، ص ص. 18-48.

الشكل 4: مقارنة بين الشك المنهجي عند كل من ديكارت والغزالي

وجه المقارنة	ديكارت	الغزالي
نقطة الانطلاق	الشك في جميع المعارف لبناء معرفة يقينية عقلية.	الشك في الحواس والعقليات للوصول إلى اليقين الديني.
مصدر الشك	قرار فلسفي واعٍ ضمن منهج علمي.	تجربة ذاتية روحية وفكرية.
موقفه من الحواس	يؤمن أن الحواس خادعة ولا تمنح يقيناً.	يرى أن الحواس تخدع ولا يمكن الاعتماد عليها.
الهدف من الشك	الوصول إلى الحقيقة العقلية الثابتة.	التحرر من التقليد وبلوغ اليقين الإيماني.
نتيجة الشك	الكوجيتو :أنا أفكر إذن أنا موجود.	نور إلهي قذفه الله في قلبه، به عرف يقينياته.
المعرفة اليقينية	المعرفة المبنية على العقل والأفكار الفطرية.	المعرفة الموصلة إلى الله والنبوة.
المنهج	منهج عقلي رياضي (التحليل، التركيب، البداهة، الإحصاء)	تجربة صوفية وعقلية.
المعرفة الحسية	مرفوضة كلياً كبداية لبناء العلم.	مرفوضة كطريق موثوق للمعرفة.
البديل المعرفي	العقل الفطري والمنهج الرياضي.	الإلهام الرباني والعقل.

المصدر: من إعداد الأستاذة

وحتى يفهم الطلبة بشكل جيد موضوع الشك المنهجي نورد في هذا الجدول أمثلة عن الشك في مبادئ وافتراضات بعض النظريات السياسية:

الشكل 5: أمثلة تطبيقية

النظرية السياسية	موضع الشك
النظرية الواقعية	تُبالغ في التركيز على القوة والمصلحة القومية وتُهمل القيم والأخلاق. تفترض أن الدول عقلانية دائمًا، وهو أمر غير واقعي.
النظرية الليبرالية	تُفترض أن التعاون الدولي دائم وممكن، رغم الصراعات المتكررة. تُغفل تأثير القوى الاقتصادية والمصالح الاستعمارية.
الماركسية	تفسر كل الظواهر السياسية من منظور اقتصادي طبقي فقط. تتجاهل الثقافة والدين والهوية كعوامل مؤثرة.
النظرية البنائية	تُتهم أحيانًا بالمبالغة في التركيز على الخطاب والهوية، مع ضعف في القدرة التنبؤية. تفتقر إلى أدوات تحليل مادية صلبة.
المدارس النقدية	تعمد إلى تفكيك كل النظريات ولكن دون تقديم بدائل واضحة أو عملية. تُتهم بالتجريد والمثالية أحيانًا.
نظرية النظام العالمي	تفترض مركزية النظام الرأسمالي العالمي في تفسير كل شيء، مما قد يغفل السياقات المحلية والخصوصيات الثقافية.

المصدر: من إعداد الأستاذة.

المحور الثالث: تطور علم السياسة حسب مبدأ التراكمية المعرفية

إن تطور علم السياسة وفقًا لمفهوم **التراكمية العلمية** يُفهم باعتباره سلسلة من المراحل المتتالية التي تُراكم فيها المعارف والمناهج، بحيث لا يتم إلغاء المرحلة السابقة تمامًا، بل يُبنى على ما سبق تطويرًا أو تصحيحًا أو تجاوزًا.

فلقد شهد علم السياسة تطورًا ملحوظًا عبر العصور، متجسدًا في مبدأ التراكمية المعرفية، الذي يُشير إلى التقدم التدريجي في المعرفة من خلال بناء النظريات الجديدة على ما سبقها من أفكار وتجارب. وقد بدأت الدراسات السياسية في العصور القديمة كجزء من الفلسفة الأخلاقية والعملية، كما هو الحال في كتابات أفلاطون وأرسطو، الذين وضعوا أسسًا لفهم الدولة والحكم والمواطنة. ومع مرور الزمن، تطورت المفاهيم السياسية عبر العصور الوسطى والحديثة، حيث أُضيفت أفكار جديدة تتعلق بالشرعية، والسيادة، والعقد الاجتماعي، كما ظهرت مدارس فكرية متنوعة كالنزعة الليبرالية والماركسية.

في القرن العشرين، شهد علم السياسة تحولًا نحو الطابع العلمي، مع اعتماد مناهج تحليلية وإحصائية، مما عزز من موضوعيته ودقته. وبذلك، فإن علم السياسة لم يتطور فجأة وفقا لآراء فلاسفة الاتجاه التراكمي بل جاء كنتيجة لتراكم مستمر للمعارف والأفكار، إذ تتفاعل التيارات القديمة مع المستجدات المعاصرة، مما يجعله علمًا حيًّا ومتجددًا يعكس تعقيدات الواقع السياسي ويستجيب لتحولاته.

يعود الفضل في إرساء علم السياسة كعقل معرفي مستقل أو كتخصص أكاديمي يحظى بالاهتمام إلى سنة **1903** عندما تم تأسيس "**الجمعية الأمريكية لعلم السياسة**"، حيث ساهم ذلك في إعطاء هوية للحقل، ولكن سبقها ذلك **فتح أول قسم للعلوم السياسية بجامعة كولومبيا بنيويورك** وتعيين أول أستاذ في العلوم السياسية والتاريخ "**فرانسيس ليبر** "سنة

1857، وقد مر مسار تطور هذا التخصص عبر **خمس مراحل كبرى** تميزت كل واحدة منها **بسعي إلى تطوير مناهجه وتعميق مفاهيمه وتحقيق استقلاله كعلم قائم بذاته**[1].

البداية مع مرحلة سيادة "النزعة الدولاتية "**المتمحورة حول الدولة وجعلها مرجعية للتحليل**، وهي النزعة التي **رافقت** مسيرة هذا الحقل خلال بواكير سعيه لاكتساب الهيمنة، ثم مرحلة سيادة "النزعة التعددية" وقد برز هذا التوجه مع نهاية العقد الثاني وبداية العقد الثالث من القرن العشرين مطالباً باهتمام التحاليل السياسية بفواعل آخرين غير الدولة، ثم مرحلة سيادة "النزعة السلوكية" والتي ظهرت في منتصف القرن العشرين، ثم مرحلة الاتجاه نحو إرساء علم سياسة جديد، وذلك خلال نهاية الستينات وبداية التسعينات، **وهو ما عرف بمرحلة ما بعد السلوكية**، ثم التيار المعروف حديثاً بـ "**بُروسترويكا علم السياسة** "تزامن ظهوره مع بدايات القرن الحادي والعشرين[2].

1. النزعة الدولاتية *Statism* في مقابل التعددية *Pluralism*:

الدولاتية هي نظرية سياسية تُعلي من شأن الدولة، وتحولها إلى كيان مطلق فوق الأشخاص والأحزاب والحكومات، وتدعو إلى وضع جميع الوظائف الاجتماعية تحت إدارة الدولة. وقد نشأت هذه النظرية كرد فعل على النظريات الليبرالية والنيوليبرالية التي تُنادي بتخلي الدولة عن القيام بأي مهمة اقتصادية أو اجتماعية من جهة، وعلى النظريات الماركسية والفوضوية في القرن التاسع عشر التي كانت تُنادي بزوال الدولة. وقد انتقلت هذه النظرية إلى علم السياسة لتُصبح نزعة سائدة أثّرت على تطور الحقل المعرفي لعلم السياسة. كانت المهمة الرئيسة لعلم السياسة في تلك الفترة إرساء الدولة القومية الموحدة، والمواطنة الموحدة، والبحث عن القوانين التي تحكم توزيع السلطة بين مؤسسات النظام السياسي للدولة، وبذلك البحث عن النصوص الدستورية. فهي تقوم على أهداف معيارية من أجل جعل الأمة

[1] وليد شملال، مرجع سبق ذكره، ص ص. 49-50.

[2] مرجع نفسه.

تتمتع بإدارة فعّالة وقادرة على تحقيق هذا الهدف. وقد أشار فرانك قودناو إلى أهمية علم السياسة في تحقيق إرادة الدولة[1].

شهدت مرحلة صعود **النزعة التعددية** تحولًا في علم السياسة من التركيز على الدولة (النزعة الدولاتية) إلى الاهتمام بالمجتمع وفاعليه المتعددين. دعت التعددية إلى دراسة السياسة من خلال الواقع وليس من منطلقات معيارية، وسعت لإضفاء الطابع العلمي التجريبي على تحليل الدولة والمجتمع. وقد ساهمت الثورة السلوكية في تعزيز هذا الاتجاه، خاصة عبر أعمال لازويل وكابلان وترومان، الذين ركزوا على استخدام أدوات تحليلية كمية وتجريبية لفهم التفاعلات السياسية. كانت الولايات المتحدة بيئة مناسبة لظهور هذا الاتجاه نظرًا لطبيعتها التعددية الفعلية، التي تجاوزت توقعات "الدولاتيين" الذين رأوا في التعددية تجزئة يجب تجاوزها[2].

رغم ذلك، لم تُحقق **التعددية المعيارية** –التي روج لها مفكرون مثل "لاسكي" و"فوليت"– ثورة معرفية حقيقية، لأنها قوبلت بمقاومة من الاتجاه الدولاتي الذي ظل مسيطرًا على الحقل الأكاديمي. رأى "كاتلين" أن التعدد يرتبط بتنوع المصالح لا القيم، ما جعله أقرب للطرح الدولاتي، رغم أنه عارض ربط علم السياسة بالقيم الاجتماعية. ويرى "قانيل" أن التعددية لم تُحدث ثورة حقيقية لأنها لم تؤسس تقليدًا بحثيًا متماسكًا. حتى بعد تراجع الدولة كمفهوم مركزي في التحليل السياسي، فإن النزعة الدولاتية أعيد إحياؤها لاحقًا مع كتاب "نهاية الليبرالية" لـ"تيودور لوي"، ما يوضح أن التوتر بين هذين الاتجاهين ظل قائمًا في بنية علم السياسة[3].

[1] فاطمة بقدي، *مطبوعة في مقياس إبستمولوجيا علم السياسة* (الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2021–2022)، ص. 89.

[2] مرجع نفسه، ص ص. 91–94.

[3] مرجع نفسه.

النزعة التعددية في مقابل السلوكية *Bahavioralism*:

يمكن تعريف "السلوكية" باعتبارها: تركيز البحث على "السلوك السياسي"؛ مرافعة منهجية لصالح "النزعة العلمية"؛ رسالة سياسية فحواها تشجيع "النزعة العلمية"؛ تصور تنظيمي لـ"النظام السياسي." وبالرغم من أن "السلوكيين" يركزون على الفرد باعتباره وحدة للتحليل إلا أنه لم يكن هناك مشكلة في دراسة "الأفراد العاكفين في إطار المجموعة على تحقيق الأهداف الجماعية"، وقد كان كل من "روبرت داهل *Robert Dahl* "و"دايفيد ترومان *David Truman* "علماء السلوكية في بداياتها خلال الخمسينيات حيث ترأس "ترومان" لجنة السلوك السياسي التابعة لمجلس البحث في العلوم الاجتماعية[1].

تبنى "الاتجاه السلوكي" التعددية في شقها المتعلق بالمصالح لا القيم، أي ذلك التعدد الذي يقبع تحت مظلة التوافق حول المنطلقات الأسس بين المصالح الاقتصادية المتعارضة. ومع وصول الستينيات ظهرت كتابات عديدة تشيد بانتصار السلوكية، وأعطى ذلك انطباعا بأن "السلوكية" ثورة تحصلت على رضا الأكاديميين بفضل نجاحها في إعادة صياغة أجندة البحث، كنتيجة لإسهامات المؤيدين والخصوم على حد سواء[2].

نشأت المدرسة السلوكية في منتصف الخمسينات وتبلورت بشكل أساسي في الستينات، وهدفت إلى إيجاد نظرية تعليلية تفسيرية وتنبؤية. استعمل السلوكيون مناهج علمية وخاصة كمية في أبحاثهم، واهتموا في تقديم واختيار فرضيات بشكل مقارن، وقاموا ببناء نماذج ونظريات تقوم على فرضيات ومفاهيم محددة بدقة ومترابطة منطقيًا. اهتم السلوكيون بالأنماط المتكررة وليس بالحالات الفردية كمحور للبحث، حيث يقوم بناء النظرية حسب السلوكيين على القدرة على التعميم وإطلاق الأحكام العامة، ويقوم هذا بدوره على إثبات الفرضيات.

[1] جون س درزيك، الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسة ترجمة :عادل زقاغ، تم الاطلاع يوم 2025/06/06، في:

http://bit.ly/4lgMkht

[2] مرجع نفسه.

وظهر التحول مع السلوكية نحو المناهج العلمية القائمة على الإحصائيات، وساهم في ذلك كله استعمال الحاسب الإلكتروني والرياضيات[1].

اعتمدت المدرسة السلوكية في كثير من المجالات على النتائج التي توصل إليها علماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الأنثروبولوجيا الذين درسوا سلوكيات الأفراد والجماعات الاجتماعية. واستفادت من ذلك في بناء نظريات جزئية أو متوسطة في العلاقات الدولية، وذلك انطلاقاً من أن سلوكيات الدول هي أساسًا سلوكيات الأفراد والجماعات الرسمية وغير الرسمية في تلك الدول[2].

ويحدد "إيستون" الخصائص الانتظامية لذوي النزعة السلوكية فيما يلي:

1. **الانتظام** :أي أن السلوك والنشاطات السياسية للأفراد والجماعات تسير على انتظام من شاكلة الظواهر الطبيعية، ويمكن التعبير عنها بالتعميم والنظرية.
2. **الإثبات** :أي فحص تلك التعميمات والنظريات من حيث المبدأ بالاستناد إلى السلوك الذي تتعلق به.
3. **الأساليب الفنية** :وهي وسائل دقيقة لملاحظة وتسجيل النشاطات السياسية وتفسيرها مثل الإحصاء والرياضيات والحاسب الآلي.
4. **التكميم والقياس** :لأنهما يسعيان بالبحث لجعله أكثر علمية واجتناب الأحكام الذاتية، ويجب تكييفها مع الأغراض العلمية من البحث.
5. **القيم** :أي تحديد القيم والفصل بينها وبين الأحداث، وذلك للتمييز بين القضايا التي تتعلق بالتفسير الأخلاقي وتلك التي تتعلق بالتفسير الإمبريقي لتحقيق الموضوعية.
6. **الاتساق** :أي ترابط أجزاء البحث وتجانسها، ولابد أن تكون مبنية على نظرية.

[1] أمينة إيجر، *مطبوعة في مقياس نظرية العلاقات الدولية، السنة الثانية جذع مشترك، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجزائر 3*، الجزائر: جامعة الجزائر 3، 2019، ص. 35.

[2] مرجع نفسه.

7. **العلم من أجل البحث** :يعني البحث عن المعرفة وكشف الحقائق لذاتها أولاً قبل توظيفها لوضع سياسات لحل مشكلات المجتمع.
8. **التكامل** :أي تكامل البحث السياسي مع العلوم الاجتماعية الأخرى، لأن موضوعها واحد وهو الإنسان، لذا يجب التكامل بينها لتحقيق الفهم وتعميم التفسير[1].

دعاة مؤتمر من أجل علم سياسة جديد في مقابل السلوكيين:

شهد الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية *(APSA)* عام 1967 تنظيم ما عُرف بـ"المؤتمر من أجل علم سياسة جديدة"، والذي ضم مجموعة من المفكرين والمنظرين السياسيين البارزين، منهم: بيتر باكراتش، كريستيان بي، تيودور لوي، مايكل برينت، آلان وولف، شيلدون وولين، كما شارك هانز مورغنثاو المعروف بمعارضته لحرب فيتنام. كان هدف المؤتمر إعادة إدماج النقاشات المجتمعية الكبرى داخل الحقل الأكاديمي للعلوم السياسية، بعدما تم تهميشها تحت تأثير النزعة السلوكية السائدة[2].

انطلقوا في نقدهم للسلوكية من رؤيتهم لقصورها في معالجة القضايا الاجتماعية والسياسية المعاصرة، فطالبوا بعلم سياسة يضع في مقدمة أولوياته التفاعل مع قضايا مثل: الحرب، التمييز العنصري، الفقر، البيئة، وحقوق المرأة. وعلى الرغم من أنهم لم يرفضوا بالكامل الأسس العلمية والمنهجية، فقد دعوا إلى أن تحتل "العلمية" المرتبة الثانية بعد الالتزام المجتمعي، معتبرين أن التفسير السلوكي للسلوك السياسي لا يشكل مركز الثقل المعرفي في علم السياسة. حاول دافيد إيستون لاحقاً التوفيق بين الطرفين، عبر الدعوة إلى "ثورة جديدة في علم السياسة" تجعل أدوات السلوكية في خدمة المشكلات الاجتماعية، لكنه لم يفلح في تجاوز الانقسام الحاد[3].

[1] محمد فرج أنور، *نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة* (أربيل: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007)، ص 156–157.

[2] جون س درزيك، مرجع سبق ذكره.

[3] مرجع نفسه.

مع مرور الوقت، فقد المؤتمر زخمه وأصبح مجرد قسم من أقسام الجمعية، يموّل لجانه ذاتياً. وسخر بعض قادته، مثل تيودور لوي، من هذا التراجع بتسميته بـ"المؤتمر من أجل جمعية جديدة لعلم السياسة". أما المجلة العلمية التي أسسها المؤتمر تحت اسم "علم السياسة الجديد*(New Political Science)* "، فقد ظل تأثيرها محدوداً، ولم تحجز لنفسها مكاناً بين أبرز الدوريات الأكاديمية في التخصص. ويمكن تلخيص إخفاق "المؤتمر من أجل علم سياسة جديدة" وفق المعايير التالية:

- أنهم لم يتمكنوا من إعادة صياغة أجندة البحث في علم السياسة؛
- أن أجندة البحث التي اقترحوها لم يكن معترفا بها في أوساط الباحثين؛
- أن المناهضين لهم لم يكن يتعين عليهم تبني صيغة توفيقية، بل اكتفوا بتجاهل طرح مناصري "المؤتمر" ما يدل على ضعف طرح جماعة "المؤتمر[1].

ظهور حركة بريسترويكا في علم السياسة:

ظهرت "حركة بريسترويكا" في الولايات المتحدة سنة 2000 كرد فعل على ما اعتبره بعض الباحثين هيمنة للنموذج الكمي والاتجاه السلوكي الضيق في علم السياسة. بدأت الحركة بمقال مجهول تحت اسم "***Mr. Perestroika***"، نشر في 15 أكتوبر 2000، وانتشر بسرعة بين الأكاديميين. ركزت الحركة على انتقاد النمط السائد في الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية *APSA* ومجلتها الرائدة، متهمةً إياها بتفضيل البحوث الكمية والإحصائية على حساب التنوع المنهجي والنظري. وقد بيّنت دراسة نُشرت سنة 2009 أن نسبة 53٪ من المقالات المنشورة في *APSR* بين 1991 و2000 كانت ضمن النموذج الكمي الإحصائي، مقابل 1٪ فقط للمناهج النوعية، وهو ما عُدّ دليلاً على إقصاء الرؤى النظرية والتاريخية والنقدية والاجتماعية[2].

[1] مرجع سبق ذكره.

[2] ساحلي، مبروك. "الثورات العلمية في علم السياسة "،*مجلة آفاق للبحوث والدراسات*، المجلد 5، العدد 1 (31 يناير 2022)، ص ص. 709-711.

وقد تمثلت المطالب السبعة للحركة في:

1. **إدماج النظريات السياسية الكبرى** مثل فكر "ماكيافيلي" و"جون ستيوارت ميل" في الدراسات السياسية.
2. **الاعتراف بالمناهج النوعية والنظرية** في برامج الدراسات العليا.
3. **تشجيع تنوع البحوث** في الأساليب والمواضيع، بما يشمل قضايا حقوق الإنسان.
4. **الاهتمام المتزايد بدراسة السياسات العامة.**
5. **إصلاح المجلات الأكاديمية** لتصبح أكثر انفتاحاً على المقاربات المتنوعة.
6. **العودة إلى دراسة السياسة في بعدها الكوني والاجتماعي،** لا الاقتصار على البحوث التقنية الكمية.
7. **تعزيز التداخل المعرفي** بين علم السياسة والتخصصات الأخرى كعلم الاجتماع والتاريخ[1].

[1] مرجع سبق ذكره ، ص ص. 709-711.

المحور الرابع: تطور علم السياسة حسب مبدأ القطيعة الابستمولوجية

مفهوم القطيعة الابستيمولوجية عند غاستون باشلار:

توجد مشكلة ابستيمولوجية تدور حول الصلة بين الابستمولوجيا وتاريخ العلم، هل هذه الصلة متصلة أو منفصلة، وبالتالي هل المفاهيم العلمية في تطور متصل أو تطور منقطع؟ والواقع أنّ قضية القطيعة أو الاستمرارية في المعرفة هي مسألة حيوية أصبحت تفرض نفسها الآن من واقع أهميتها في أي دراسة عن الابستمولوجيا، ونجد أنّ أصحاب القطيعة الإبستيمولوجية يرون أنّ المعرفة العلمية لا تستند دوماً على إعادة بناء المفاهيم والتطورات والنظريات العلمية، وإعادة تعريفها وإعطائها مفهوماً جديداً، فالقطيعة الإبستيمولوجية لا تعني ظهور مفاهيم ونظريات جديدة بل هي تعني أكثر من ذلك، أي **لا يمكن أن نجد أي ترابط أو اتصال بين القديم والجديد،** حيث أنّ ما قبل وما بعد يشكلان عالمين مختلفين تماماً من الأفكار، ومن ذلك فإنّ كلاًّ منهما غريب عن الآخر، وبذلك نجد بأنّ القطيعة الإبستيمولوجية تصبح خاصية نوعية لتطور العلوم، أي لما كان ما قبل القطيعة وما بعدها يختلفان اختلافاً جذرياً عن بعضهما البعض، فبذلك سيصبح تاريخ العلوم عبارة عن سلسلة من الحقائق والأخطاء المتتالية، حيث يقول باشلار: "إنّ تاريخ العلم هو أخطاء العلم"[1].

إن القطيعة الابستمولوجية تتمحور حول أن تطور المعرفة العلمية لا تستند على نفس المفاهيم التي تحملها التطورات العلمية في عصر من العصور، بل هي انتقال معرفي يستند في أساسه على إعادة بناء المفاهيم والنظريات العلمية وإعادة تعريفها وإعطائها مضمونا جديدا، أي أن تاريخ العلوم هو تاريخ للقطائع الابستمولوجية، قطائع منهجية على مستوى التصورات وعلى مستوى المناهج وهي قطائع من داخل العلم، فكل علم له خرائط وطرق خاصة به، فالعلم يتباطأ في مرات ويتسارع في مرات أخرى، وذلك عند وجود عوائق وقطيعة

[1] محمد عابد الجابري، *مدخل إلى فلسفة العلوم*، ط7 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011)، ص 42–43.

بين مرحلة وأخرى، كما أن تطور العلم" يأخذ معنى أو صبغة قطائع وطفرات كيفية يتغير فيها السؤال ويعاد النظر فيها، وفي المعلومات والأدوات والمناهج والنماذج التحليلية أو التجريبية"[1].

إنّ مبدأ القطيعة الإبستمولوجيّة عند باشلار يوحّد بين احتواء النّظريّة الجديدة للقديمة، وبين إحداث القطيعة معها، والمظهر الأوّل من مظاهر القطيعة لديه، يكمن في أنّ **النّظريات الجديدة أشمل من القديمة**، وتحتويها رغم انطلاقها من مبادئ تختلف عن مبادئها. أمّا المظهر الثّاني، فيتمثّل في أنّ نظريات الفكر العلمي المعاصر، تقوم على **مراجعة مفاهيم العلم الكلاسيكي**، بما فيها تلك الّتي تبدو ضمن هذا العلم بمثابة المبدأ الأوّلي، كمراجعة مفهوم المكان، والخطّ عند إقليدس، بالنّسبة للهندسات اللاإقليديّة. ومراجعة مفهوم الزمّان عند أينشتاين، بالنّسبة لزمان نيوتن. ومراجعة مفهوم الضّوء، والمادّة، والجسيم في نظريّة الكمّ بالنّسبة لما قبلها. وبالتّالي فإنّ القطيعة العلميّة عند باشلار، تشمل مراجعة المفاهيم العلميّة السّابقة، وهذه المراجعة تعني انتقالاً جدليّاً إلى مفاهيم أكثر شمولاً، حيث يتمّ مراجعة مفاهيم النّظريات القديمة، بالكيفيّة الّتي تعين حدود صدقها من جهة، وتحتويها من جهة أخرى[2].

مراحل تاريخ الفكر البشري عند غاستون باشلار:

تحدّث باشلار عن ثلاث مراحل أساسيّة للقطيعة الإبستمولوجيّة، أو بعبارة أخرى تحدّث عن ثلاث محطّات رئيسيّة مرّ بها تاريخ الفكر العلمي[3]:

[1] ليليا رزيوق، "المنهج ومسألة القطيعة الإبستيمولوجية عند غاستون باشلار"، *مجلة آفاق للعلوم*، جامعة زيان عاشور بالجلفة، المجلد 6، العدد 1، 2021، ص 336.

[2] القطيعة الإبستمولوجية عند غاستون باشلار: التحليل النفسي للعلم"، 26 ديسمبر 2019، تم الاطلاع يوم 2025/06/06، في:

http://bit.ly/3U5NJLQ

[3] مرجع نفسه.

- **المرحلة الأولى** :تمثّل الحالة ما قبل العلميّة، وهي مرحلة الأزمنة الكلاسيكيّة القديمة، وعصر النّهضة، إضافة للجهود المستمدّة من القرنين السّادس، والسّابع عشر، حتّى القرن الثّامن عشر. ويسمّيها باشلار بمرحلة الحالة الملموسة، حيث ينتهي العقل بالصّورة الأولى للظّاهرة، ويعتمد على أدبيات فلسفيّة تمجّد الطبيعة، وتغني بوحدة العالم وتنوّعه الغنيّ، ونوع المعرفة السائدة هو هي معرفة زائفة ينبغي للفكر العلمي أن يتأسس ضدها.
- **المرحلة الثّانية** :هي المرحلة العلميّة، الّتي أحدثت قطيعة مع المرحلة السّابقة، وهي تبدأ من أواخر القرن الثّامن عشر، وتشمل القرن التّاسع عشر، ومطلع القرن العشرين. وهي عند باشلار تمثّل المرحلة الملموسة المجرّدة، وفيها يضيف العقل إلى التّجربة الفيزيائيّة الرّسوم الهندسيّة أو يستند لفلسفة البساطة.
- **المرحلة الثّالثة** :هي مرحلة العقل العلمي الجديد، الّتي تبدأ منذ العام 1905، أي مع النّظريّة النّسبيّة الخاصّة، الّتي بدّلت مفاهيم أوليّة كان لا يشكّ بثباتها، لتكمل تلك القطيعة الثّانية فيما بعد نظريات أخرى ضاعفت النّضج العقلي والرّوحي المدهش، خاصّة مع الميكانيك الكوانتي والتموجي عند دي برويل، وفيزياء المصفوفات عند هايزنيرغ، وميكانيك ديراك، فالميكانيكات المجرّدة والفيزياء المجرّدة الّتي ستتحكّم بكلّ إمكانات الاختبار، وهي مرحلة الحالة المجرّدة وفيها يباشر العقل معالجة المعلومات المأخوذة طوعاً من حدس الميدان الواقعي والمنفصلة طوعاً عن التّجربة المباشرة.

وانطلاقًا من هذه الحالات الثلاث لغاستون باشلار، إذا كانت الهندسة الإقليدية، والفيزياء النيوتينية، والكيمياء الفوازية، والمنطق الأرسطي تمثل فكرًا علميًا تحكمه العقلانية الكلاسيكية، فإن الهندسة اللاقليدية، والفيزياء اللانيوتينية، والكيمياء اللافوازية، والمنطق اللاأرسطي تعبّر

عن فكر علمي جديد تحكمه عقلانية مغايرة. وتمتاز هذه العلوم الجديدة بكونها أكثر شمولاً من العلوم السابقة، إذ إنها تتضمنها باعتبارها حالات خاصة ضمن إطار معرفي أوسع[1].

مستويات القطيعة عند غاستون باشلار:

- **القطيعة الابستمولوجية بين المعرفة العامة والمعرفة العلمية:**

تتخذ القطيعة في المستوى الأول بشكل الانفصال العام بين العلم كعلم وبين كل مسبقات الفكر الطبيعية، ويعتبر هذا الموقف كرد فعل نقدي ضد النظرية الاستمرارية في العلم كما سطرها مايرسون على الخصوص، الذي شدد أن هناك استمرارية من الفكر العامي إلى الفكر العلمي؛ هذا الموقف يرفضه باشلار لأنه لا يتطابق مع واقع العلم المعاصر، باعتقاده بأن التقدم العلمي يفصح دوماً عن انفصال بل عن انفصالات دائمة متجددة بين المعرفة المشتركة والمعرفة العلمية[2] .

- **القطيعة بين الفكر العلمي والفكر العلمي الجديد:**

أما المستوى الثاني للقطيعة فيكون بين فرضيتين علميتين، وهي قطيعة لا تصل إلى حد الانفصال التام والكلي لأن الفرضية العلمية الجديدة تدحض وتفند الفرضية العلمية السابقة وتثور قيم جديدة على القيم السابقة، فالمعرفة الجديدة لم تأتِ إضافة معرفية تراكمية إلى المعرفة القديمة، بل بقطيعة معرفية حولت القديم الذي كان عامًا إلى حالة خاصة تتكامل مع الحالة الجديدة، ويصبح العلم الجديد يتضمن العلم السابق عنه لأنه أوسع وأشمل[3].

فيما يخص القطيعة الابستيمولوجية التي عرفها علم السياسة فالقطيعة الأولى كانت **مع الفكر الفلسفي الأخلاقي الكلاسيكي**، وهي قطيعة مفصلية تمثلت في الانتقال من **الفلسفة السياسية** التي سادت عند فلاسفة مثل **أفلاطون وأرسطو**، إلى **علم السياسة** كمجال مستقل

[1] وليد شملال، مرجع سبق ذكره، ص. 43.

[2] مرجع سبق ذكره، ص. 45.

[3] مرجع نفسه.

عن الأخلاق. ففي الفكر الكلاسيكي، كانت السياسة تُفهم في إطار معياري، أي باعتبارها سعيًا نحو المدينة الفاضلة أو تحقيق الفضيلة والخير الأعلى. غير أن هذه الرؤية تغيرت جذريًا مع **مكيافيلي** في القرن السادس عشر، الذي أحدث قطيعة إبستمولوجية عندما فصل السياسة عن الأخلاق، واعتبر أن الفعل السياسي يجب أن يُقيَّم بناءً على نتائجه وفعاليته، لا على أساس القيم الأخلاقية. وهكذا أصبحت السياسة تُدرس كفن للسلطة وممارسة للحكم، مما مهد لظهور علم السياسة الحديث بوصفه علمًا واقعيًا، يهتم بما هو كائن لا بما ينبغي أن يكون.

قطيعة أخرى في علم السياسة تجلّت في **التحوّل من النزعة القانونية والمؤسساتية التقليدية إلى المقاربة الوضعية التجريبية**، قبل السلوكية، كان علم السياسة يُركّز على دراسة الدساتير، والنظم، والهياكل القانونية من منظور وصفي شكلي، دون اهتمام فعلي بكيفية عمل السلطة فعليًا في الواقع.

لكن مع بدايات القرن العشرين، جاءت السلوكية لتُحدث قطيعة إبستمولوجية واضحة، عبر إدخال أدوات المنهج العلمي التجريبي في دراسة الظواهر السياسية، متأثرة بعلم النفس وعلم الاجتماع. فقد دعت إلى **دراسة السلوك السياسي الفعلي للأفراد والجماعات** بدل الاقتصار على المؤسسات الرسمية، مع اعتماد الإحصاء، الاستبيان، والتحليل الكمي. هذه المقاربة مثلت انتقالاً حاسمًا من الرؤية المعيارية والقانونية إلى رؤية علمية تجريبية تسعى إلى تفسير الظواهر السياسية على أساس الملاحظة والبيانات.

المحور الخامس: العوائق الابستمولوجية لتطور علم السياسة حسب غاستون باشلار

تعريف العائق الإبستيمولوجي:

العائق الابستمولوجي هو كل ما يعوق تقدم الفكر العلمي، ويعرّفه غاستون باشلار بأنه تلك العقبات النفسية والمعرفية الكامنة في بنية التفكير نفسه، لا في العالم الخارجي، فهو لا يرجع تأخر تطور المعرفة العلمية إلى ضعف الحواس أو تعقيد الظواهر، بل إلى وجود **تباطؤ واضطرابات داخل جهاز المعرفة ذاته،** وهذه العوائق ليست طارئة أو عرضية، بل هي ضرورية وظيفيًا، تظهر داخل الذات العارفة من خلال علاقتها بموضوع المعرفة، وتُعرف بـ"العقبات المعلوماتية"، **هذه العوائق تتجلى في "المعرفة السابقة"**، حيث يُصادف العقل العلمي أثناء تطوره سلسلة من الأخطاء الراسخة والمفاهيم السيئة الصنع التي يَجب عليه تخطيها، ويؤكد باشلار أن **الانطلاق من الصفر مستحيل،** فالمعرفة لا تُبنى إلا بتجاوز وتفكيك المعارف السابقة، مهما كانت شائعة. وبهذا المعنى، فإن العائق الإبستيمولوجي ليس فقط عائقًا سلبيًا بل له دور إيجابي في دفع العقل نحو التفكير النقدي والانفصال عن الجاهز والمألوف[1].

يرى باشلار أيضًا أن **الرأي العام هو أول وأخطر عائق إبستيمولوجي،** لأنه يقدم معرفة سطحية مشبعة بالأحكام المسبقة، ويخلط بين الحاجة والفكر. فالرأي لا يُفكر، كما يقول، بل يترجم الحاجات إلى "معارف" خاطئة، لذلك لا يمكن بناء علم حقيقي انطلاقًا من الرأي. ويعتبر باشلار أن **العلم يتعارض جوهريًا مع الرأي،** لأن هذا الأخير يعوق الحرية الفكرية والعقلانية العلمية. كما يشير باشلار إلى أن **لكل مرحلة علمية عوائقها الخاصة،** أي أن العوائق ليست ثابتة، بل تتغير بتغير سياقات المعرفة. فمثلاً، ما شكّل عائقًا في الفيزياء الكلاسيكية (النيوتينية) لم يعد كذلك في فيزياء النسبية. وبالتالي، فإن تجاوز العوائق هو

[1] نوقاس خدومة ورياح خيرة، مرجع سبق ذكره، ص. 33.

عملية مستمرة وملازمة لتطور العلم. ولهذا، فإن فهم العوائق الإبستيمولوجية ضرورة لفهم طبيعة المعرفة العلمية وحدودها[1].

عوائق تطور الفكر العلمي عند غاستون باشلار:

يشير غاستون باشلار في كتابه " تكوين العقل العلمي *La formation de la esprit scientifique* إلى جملة من العوائق التي حالت الفكر العلمي عن التطور نوردها على النحو التالي:

1 – عائق التجربة الأولى: يتمثل في التجربة الحسية، بمعنى أن ما تقدمه الحواس يفرض على العقل التصديق الكلي ويلغي دوره في التفكير والنقد، أي أن " التجربة الأولى لا تقدم الصورة الصحيحة للظواهر ولا حتى وصف الظواهر المنتظمة بدقة، وعليه فإن التجربة الحسية تشكل عائق ابستمولوجي من الصعب إخضاعها لمنهج التحليل النفسي، وهذا ما توضحه لنا المرحلة قبل العلمية، والتي طغى عليها الطرح الذاتي (الأفكار الذاتية، والتي تفتقر إلى النزعة العلمية)[2].

2 –عائق المعرفة العامة: يشير باشلار إلى أن محاولة الفلاسفة التقليدين تعميم وتكييف نتائج العلم يشكل عائقا ابستمولوجيا للمعرفة العلمية، فهذه التعميمات التي كانت سائدة في المرحلة قبل العلمية لم يعد لها جدوى اليوم، لأن العلم في تطور مستمر، وما كان سائدا في السابق لا يمكن تعميمه في الوقت الراهن، كما يشير باشلار إلى أن " الجهل هو عبارة عن نسيج من الأخطاء الإيجابية عنيدة ومتضامنة، فهو لا يدرك بأن للظلمات الفكرية بنية، وفي هذه الحالة ينبغي لكل تجربة موضوعية حقة أن تجري تصحيحا لخطأ ذاتي "، وهنا يوضح لنا باشلار أن الأفكار المسبقة هي الأخرى تشكل عائق ابستمولوجيا أمام تطور الفكر العلمي[3].

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 34.

[2] ليليا رزيوق، مرجع سبق ذكره، ص. 334.

[3] مرجع نفسه.

3 –العائق اللفظي: إن العادات اللفظية حسب غاستون باشلار تشكل عوائق ابستمولوجية تعيق تطور الفكر العلمي، ففي المرحلة قبل العلمية لم يكن هناك تميز بين المفهوم واللفظ، ولا تميز بين الكلمة التي تصلح للتفكير، أي نجد نفس اللفظ يصف الظاهرة ونفس اللفظ يشرحها كما أن التعيين يكون نفسه لكن الشرح مختلف، فعلى سبيل المثال: لفظ " هاتف" يعبر عن تصورات مختلفة عند الزبون لكن بالنسبة للمهندس والرياضي، فإن الهاتف مفهوم مرتبط بمعادلات الفروق للتيار الهاتفي، وعليه فإن المرحلة قبل علمية كانت الكلمة الواحدة تشكل قاعدة للتفسير الشامل، ولهذا فإن اللفظ من منظور غاستون باشلار يعد عائق ابستولوجيا على الفكر العلمي تجاوزه[1] .

4 –عائق المعرفة الموحدة: يشير غاستون باشلار إلى أن مرحلة ما قبل العلمية كان يسودها الفكر الموحد، بمعنى أن جميع الموجودات أرجعت إلى مبدأ واحد، وهذا ما نجده على سبيل المثال: " في الفلسفات الطبيعية الأولى"، ونفس الشيء ينطبق على الموضوعات هي الأخرى كانت تفسر بالاعتماد على النظام الواحد الذي تسيره الطبيعة، وهذا ما شكل عائق ابستمولوجي لتطور الفكر العلمي، وهو ما يوضحه باشلار في قوله أن الفكر قبل علمي يعتبر الوحدة مبدأ منشوراً أو متحققا بأهون السبل[2] .

5 –العائق الإحيائي البيولوجي: إن العائق الإحيائي عند باشلار يحصره في الظواهر الإحيائية التي كذبتها المعرفة العلمية، فالحياة في المرحلة قبل العلمية كانت تفسر على أساس جواهر الأشياء، فالمادة الحسية تشكل في الفكر قبل العلمي معرفة ساذجة أبسط وأوضح من المادة الجامدة، إلا أن هذه النظرة ناقضها الفكر العلمي المعاصر الذي يعتبر أن في البيولوجيا يواجه الباحث عوائق ابستمولوجية أكثر من التي يواجهها دارس المادة الجامدة"، بمعنى أن

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 334.

[2] مرجع نفسه، ص. 335.

هذه النزعة الإحيائية بأفكارها سيطرت على المرحلة ما قبل العلمية والتي شكلت عائقا ابستمولوجيا أمام تطور الفكر العلمي[1].

6- العائق الجوهري: يشير غاستون باشلار إلى أن الموضوع في مرحلة قبل العلمية، كان يشكل جوهر ثابت، كما يبين لنا أن الجواهر كنموذج تفسيري تعتبر عائق متعدد الأوجه يقف كحائل أمام تطور الفكر العلمي، وهذا ما يوضحه قوله أن التلاعب بالألفاظ في تسمية الظواهر يرضي الفكر الساذج بسهولة ولفظ " عمق" الجواهر من منظور ابستمولوجي معاصر لا يعبر عن العمق فعلا، بل على العكس، فالمعرفة العامة سطحية وليست عميقة بمعنى أن الشعور العميق يظل شعوراً سطحيا"[2].

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 335.

[2] مرجع نفسه.

الشكل 6: العوائق الابستمولوجية في علم السياسة

الشكل من اعداد الأستاذة بالاعتماد على المعلومات الواردة في: بلخضر طيفور، محاضرات في ابستيمولوجيا علم السياسة، جامعة ابن خلدون تيارت.

المحور السادس: مبدأ الثورات المعرفية في علم السياسة

مفهوم الثورة العلمية:

الثورة العلمية بحسب ما ورد في كتاب بنية الثورات العلمية لتوماس كون هي سلسلة من الأحداث التطورية غير التراكمية، يُستبدل فيها نموذج علمي قديم بنموذج جديد، إما بشكل كلي أو جزئي، ويكون هذا النموذج الجديد في المقابل متعارضًا مع النموذج السابق"[1].

يقسم توماس كون الثورات العلمية إلى نوعين رئيسيين[2]:

- **الثورات الصغرى:** وهي الاكتشافات العلمية الثورية التي تخرج عن توقعات "البارادايم" السائد، لكنها تحدث ضمن نطاق محدود وبين عدد قليل من أفراد المجتمع العلمي. ومن الأمثلة على ذلك: اكتشاف الأكسجين. هذه الثورات غالبًا ما تُمهد لحدوث النوع الثاني من الثورات.
- **الثورات الكبرى:** يقصد بها كون تلك الابتكارات النظرية العميقة التي تؤسس لتقليد بحثي جديد، وتفرض رؤية علمية شاملة تهدم النظام المعرفي السابق، لا يقتصر تأثير هذه الثورات على المجال العلمي الذي نشأت فيه، بل يمتد ليشمل مجالات متعددة من النشاط الإنساني، وقد يصل تأثيرها إلى حد طبع عصرٍ كامل بطابعها الخاص، ومع ذلك، فإن هذا النوع من الثورات نادر الحدوث، ويُعد بمثابة طفرة في تاريخ العلم. من أبرز أمثلتها:

- **الثورة الكوبرنيكية**، التي غيرت نظرة الإنسان إلى الكون والحياة والمجتمع وحتى إلى ذاته.

[1] توماس كون، *بنية الثورات العلمية*، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007)، ص. 179.

[2] سامية أزبوش، *النموذج العلمي عند توماس كون*، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، قسم الفلسفة، تخصص المنطق وفلسفة العلوم، 2016–2017، ص 57.

- **ثورتا النسبية والكوانتم** في الفيزياء، اللتان اعتُبرتا من أعظم الثورات في تاريخ العلم، لما لهما من دور كبير في القضاء على الحتمية الميكانيكية التي كانت مسيطرة على أذهان العلماء في معظم الميادين العلمية[1].

ومع ذلك، يمكننا أن نستنتج أن كلا النوعين من الثورات – سواء الصغرى أو الكبرى – ينطويان في جوهرهما على مفاهيم التحول، والصراع، والتوتر، والتغيير، وهي مفاهيم تتعارض بشكل واضح مع فكرة "التراكم المعرفي" التي تفترض سير العلم في خط مستقيم دون قفزات أو انقطاعات.

مفهوم الباراديغم *paradigm* أو النموذج المعرفي:

قدّم توماس كون في كتابه العلمي "بنية الثورات العلمية"، الباراديغم أو النموذج العلمي على أنه: "مجموعة القوانين والتقنيات والأدوات المرتبطة بنظرية علمية والمسترشدة بها والتي يمارس الباحثون عملهم ويديرون نشاطاتهم، وحالما تتأسس تتخذ اسم العلم العادي"[2].

مراحل التقدم العلمي:

إن التقدم العلمي عند "توماس كون" يجري في إطار النموذج العلمي (الإرشادي) أو الباراديغم السائد، والثورة العلمية هي إزاحة هذا النموذج العلمي السابق أو السائد في فترة العلم السائد بسبب الأزمة التي أثارها وعجز عن حل المشكلات والمعضلات المطروحة، وعليه يتم استبداله بباراديغم آخر أو نموذج علمي آخر جديد، لتنطلق مرحلة علمية سائدة جديدة[3].

وفق المخطط التالي:

مرحلة ما قبل العلم ← علم سائد (براديم 1) ← أزمة ← ثورة

علم سائد جديد (براديم 2) ← أزمة جديدة ← ثورة جديدة .....

[1] مرجع سبق ذكره.

[2] توماس كون، مرجع سبق ذكره، ص 340.

[3] سامية أزبوش، مرجع سبق ذكره، ص. 41.

⟸ ومنه حسب المخطط يرى توماس كون أن العلم يمر بمرحلة تهيمن فيها رؤية أو باراديغم علمي معين على النشاط العلمي، لكن مع مرور الوقت، تبدأ هذا الرؤية في مواجهة عوائق ومشكلات تعجز عن حلها، مما يؤدي إلى نشوء حالة من الأزمة داخل الوسط العلمي. هذه الأزمة تُمهّد لظهور ما يسميه كون بـ"العلم غير السائد"، وهو مرحلة انتقالية لا تُحل فيها الإشكالات إلا بظهور باراديغم جديد يتجاوز قصور النموذج السابق، وهكذا لا يظهر الباراديغم الجديد إلا كثورة علمية تُطيح بالباراديغم القديم وتُحدث تحولاً جذريًا في فهم الظواهر ومناهج البحث.

ولكي نقترب أكثر من نظرية "توماس كون" حول التقدم العلمي، يجب أن نفرق بين مرحلتين في مسار العلم: مرحلة قياسية وهي ما يُطلق عليها العلم السائد أو العادي *Normal Science*، وأخرى لا قياسية يسميها: العلم الشاذ أو الثوري .*(Revolutionary Science)* ولكن في كلتا المرحلتين يظل العلم ومن خلاله العلماء يمارسون نشاطهم في إطار نموذج علمي معين، وهو ما يسميه "توماس كون" الباراديغم*(Paradigm)* ، الذي يعتبر النواة الصلبة للعمل العلمي. فإذا كانت فترة العلم السوي هي التزام بنموذج معين، فإن المرحلة الثورية يستحدث روادها نموذجهم الجديد، وبالتالي من باراديغم إلى آخر. وبهذا أرسى "توماس كون" مفاهيم أساسية في التقدم العلمي كالباراديغم، العلم السائد، والعلم الشاذ أو الثوري[1].

وهذه المراحل يمكن اجمالها فيما يلي[2]:

❖ **مرحلة العلم السائد (العلم القياسي / العادي):**

هي فترة استقرار في تاريخ العلم، يُهيمن فيها باراديغم معين (نموذج إرشادي) على جماعة العلماء. يُمارس خلالها البحث العلمي وفق هذا النموذج دون التشكيك فيه، ويتم التركيز على حل "الألغاز" داخل إطاره باستخدام أدوات ومفاهيم محددة. تعتبر هذه المرحلة تراكمية، حيث تُبنى المعرفة على الإنجازات السابقة المقبولة من المجتمع العلمي.

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 42.

[2] للمزيد راجع: توماس كون، مرجع سبق ذكره.

❖ **مرحلة الشذوذ وظهور الأزمة:**

مع مرور الوقت، تظهر مشكلات لا يستطيع النموذج السائد حلها، وتُعرف هذه المشكلات بالشذوذ *(Anomalies)* في البداية، يحاول العلماء التوفيق بينها وبين البارادیغم القائم، ولكن إذا استمرت هذه المشكلات وتفاقمت، تنشأ أزمة داخل المجتمع العلمي، تختلف هذه النظرة عن "كارل بوبر" الذي يرى أن تكذيب نظرية واحدة كافٍ لهجرها، أما "كون" فيرى أن البارادیغم لا يُهجر إلا بظهور نموذج بديل.

❖ **مرحلة الثورة العلمية (العلم الثوري / الشاذ):**

تحدث عندما يصبح البارادیغم السائد عاجزًا تمامًا عن تفسير الظواهر أو حل المشكلات، فيبدأ تحوّل جذري بظهور نموذج علمي جديد (بارادیغم بديل)، هذا النموذج يُحدث تغييرًا في الأدوات والمفاهيم وحتى في طريقة رؤية العلماء للعالم، ومنه فالثورة العلمية تعني الانتقال من نموذج إلى آخر بشكل غير تراكمي، وهذا ما يُحدث الانفصال المعرفي.

المحور السابع: النماذج المعرفية لتوماس كون في دراسة علم السياسة: النماذج المفتوحة والمغلقة

على الرغم من اعتقاد "توماس كون" بعدم ملائمة "النموذج المعرفي" للعلوم الاجتماعية، لأنها تمر بمرحلة ما قبل النموذج المعرفي، إلا أن نظريته كانت مؤثرة ولها صداها في مجال العلوم الاجتماعية، فمن العلماء من رفض استخدامه ومنهم من رأى العكس. يرى الرافضون بوجود اختلافات واضحة في التطور النظري بين العلوم الاجتماعية ومن ضمنها العلاقات الدولية، ورؤية "كون" لتطور العلوم الطبيعية، وهذه تؤدي إلى عدم ملائمة تحليلاته لهذا الحقل. إذ لو أخذنا مفهوم "النموذج المعرفي" وفقا له وطبقنا مفهوم "عدم القابلية للقياس *Incommensurability* بالنسبة للنماذج المختلفة، فإن الحوار بين النظريات والنماذج المختلفة يكون عديم الفائدة وأي محاولة للتركيب تكون مضيعة للوقت. وفي نفس اتجاه الرفض يرى "شيلدون وولن" في دراسته *"Paradigm and Political Theories"* بأنه لم تحدث ثورة علمية ولا يوجد نموذج مهيمن أو علم قياسي للسياسة، ويؤكد "فيليب بيردسلي" في دراسة بعنوان *"Political Science: The Case of Missing Paradigm"* على إنه لا في الماضي ولا في الوقت الحاضر لم يتم تأسيس نموذج معرفي في مجال علم السياسة، ولكنه يعتقد بإمكانية اختراع علم السياسة لنموذج معرفي خاص به في المستقبل[1].

ومنه رغم أن كون قد ركز في تحليله على **العلوم الطبيعية**، إلا أن أطروحاته تركت أثرًا عميقًا في علم السياسة، حيث ظهرت محاولات لفهم طبيعة النماذج المعرفية التي تحكم البحث والتحليل السياسي، وفي هذا السياق برز تصنيف **النماذج السياسية إلى مغلقة ومفتوحة** باعتباره تعبيرًا عن مدى انفتاح الإطار المعرفي على التعدد، الحوار، وإمكانية التغيير.

1. النموذج المعرفي المفتوح:

[1] أنور محمد فرج، *مرجع سبق ذكره*، ص ص. 134-135.

يُمثل توجّهًا بحثيًا يُعلي من قيمة الحقيقة الواقعية على حساب الولاء الأيديولوجي أو الفلسفي للنظرية، والباحث في هذا النموذج يسعى لاكتشاف الظواهر كما هي، لا كما تمليها النظريات المسبقة، تسود فيه قيم مثل الأمانة العلمية، والعدالة، والحياد، وقد تجلت ملامحه في بعض أبحاث المدرسة السلوكية، لا سيما في أعمال ديفيد إيستون، وغابرييل ألموند، وكارل دويتش، ورغم ما وُجه إليها من انتقادات بالانحياز، إلا أنها مثلت جهدًا نحو بناء مقاربات تفسيرية عالمية للظواهر السياسية[1].

2. **النموذج المعرفي المغلق:**

وصفه توماس كون بـ"الأرثوذكسية العلمية"، ويتميز بانغلاقه حول تجربة معرفية واحدة، غالبًا غربية (أوروبية أو أمريكية)، يفرض هذا النموذج مرجعيات معرفية خاصة باعتبارها عالمية، مثل محاولات تعميم نظريات التحديث والتنمية السياسية على جميع المجتمعات دون مراعاة خصوصيتها الثقافية والاجتماعية. ويُعد هذا النموذج منحازًا لأنه يسعى لنمط واحد في تفسير السياسة، ويُهمل الاختلافات العميقة بين التجارب الإنسانية[2].

أما **النموذج المعرفي المختلط،** فهو يقع بين الانفتاح والانغلاق. يجمع بين استخدام أدوات منهجية صارمة مع انتقاد فرض النماذج الغربية على العالم أجمع. يهدف هذا النموذج إلى الانفتاح على مختلف التجارب والتقاليد السياسية حول العالم، إلا أن نتائجه كانت محدودة جزئيًا. وغالبًا ما يُلقى اللوم في ضعف فاعليته على الباحثين من الدول غير الغربية الذين لم يطوروا نماذج نابعة من بيئاتهم الثقافية والتاريخية، واعتمدوا بدلًا من ذلك على استيراد النظريات الغربية بوصفها حقائق مُسلَّم بها[3].

[1] للمزيد حول النماذج المعرفية في علم السياسة راجع: محمد نصر عارف، *إبستيمولوجيا السياسة المقارنة* (الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2002).

[2] مرجع نفسه.

[3] مرجع نفسه.

وفي المجمل، فإن استخدام النماذج المعرفية يُعد مدخلًا مهمًا لفهم تطور علم السياسة، ولا يقتصر الأمر على استعراضها، بل الأهم هو فهم جذورها المعرفية ومصادرها الفكرية التي تؤسس لتوجهات البحث والتحليل السياسي.

ومنه يمكن القول أنّ النماذج المغلقة في علم السياسة تقوم على افتراضات صلبة ومحددة، ترفض التعدد النظري وتتبنى تفسيرًا أحاديًا للواقع السياسي، كما هو الحال في بعض أشكال الواقعية أو الماركسية الصلبة. في المقابل، تتميز النماذج المفتوحة بالمرونة، والانفتاح على الحوار مع نظريات أخرى، والقدرة على التطور عبر إدماج عناصر جديدة، كما هو بارز في البنائية أو النظرية النقدية. إن دراسة هذه النماذج في ضوء تصور توماس كون تثير تساؤلات مهمة حول مدى نضج علم السياسة كنظام معرفي، ومدى قدرته على توليد نماذج مهيمنة أو ما إذا كان لا يزال يعيش في "مرحلة ما قبل النموذج"، وفقًا لتوصيف كون، كما تفتح المجال لتحليل علاقة السلطة بالمعرفة، وطبيعة التحولات التي قد تشكل "ثورات معرفية" داخل الحقل السياسي.

يرى نصر محمد عارف أن تطور علم السياسة يتفاعل بعاملين أساسيين هما: حالة المنظومة العلمية السائدة أو ما يُطلق عليها "النموذج المعرفي" من ناحية، والتغيير في بنية وعلاقات التجمعات البشرية ونُظمها من ناحية ثانية. وينطبق ذلك على مراحل التطور الثلاث في علم السياسة؛ فقد انهار **النموذج التقليدي** بفعل التطورات التي حدثت على مستوى العلم والنموذج المعرفي، بظهور "**الوضعية المنطقية**" وفلسفتها الداعية إلى إنشاء علوم اجتماعية على شاكلة العلوم الطبيعية وبمنهجيتها، وظهور "مدرسة شيكاغو للعلوم الاجتماعية" في الولايات المتحدة الأمريكية، نشأ بذلك نموذج معرفي جديد تمثّل في "**الثورة السلوكية**[1]".

وفي نفس الوقت، بدأ التحول على مستوى العلم من "الوضعية المنطقية" و"الإمبريقية" إلى "**النظرية التفسيرية**"، وبدأ مثقفو العالم الثالث يتجهون إلى تقاليد فكرية أخرى، تمثلت في

[1] مبروك ساحلي، مرجع سبق ذكره، ص. 699.

"**الماركسية**" وأطروحاتها المتعددة، كذلك دفعت مشكلات الولايات المتحدة ذاتها – المتمثلة في العنف العنصري، والبطالة، وحركة الحقوق المدنية، وحركات النساء – العديد من الباحثين الأمريكيين إلى الانفتاح على التقاليد الماركسية وما نتج عنها من أطر نظرية ومنهجية، كل ذلك دفع إلى تجاوز المرحلة السلوكية ونموذجها التنموي، والانتقال إلى **ما بعد السلوكية**[1].

[1] مرجع سبق ذكره.

المحور الثامن: النسبية العلمية في دراسة ونقد نظرية المعرفة عند كارل بوبر

القابلية للتكذيب:

يعتقد بوبر أنّ قابليّة أية نظريّة للتكذيب يعني أنّها نظريّة منفتحة على إمكان ظهور واقعة سلبيّة مستقبلا تدحض تنبؤاتها؛ وحينما يتمّ ذلك فإنّها تسمح لنظريّة أفضل منها يكون لها محتوى معرفي وتفسيري أكبر بأن تحلّ محلّها استجابة للمتطلّبات التي تفرضها المشكلات المستجدّة وحيويّة النشاط العلمي. فمثلا، إنّنا ننظر إلى الجاذبيّة الأرضيّة على أنها نظريّة علميّة، بالنظر إلى كون لحظة انعدامها احتمال قائم وممكن الحدوث في أيّة لحظة، وليس على أساس تحقّق أثرها باستمرار في الحياة اليوميّة، فإذا ما تحقّقت تلك اللّحظة بالفعل، يَتم حينها تكذيب هذه النظريّة، وبالمختصر المفيد، هي نظريّة علميّة لأنّها بكل بساطة قابلة للتكذيب؛ وتلك خاصيّة، تمنح العَالِمَ القدرة على استبدال النظريّات، ممّا يُؤدي إلى النُمو الحيوي والمستمر للعلم[1].

وفي مقابل ذلك، فإنّ كل نظريّة لا تقبل الدحض بأيٍّ حدث يمكن تصوره هي نظريّة غير علميّة؛ وبذلك يكتسي العلم صفته الثوريّة من خلال استبعاده للفروض الكاذبة وابقائه على الفروض القابلة للتكذيب؛ بما يُؤكّد أنّ "كل اختبار حقيقي لنظريّة إنّما، هو محاولة لتكذيبها، أو لدحضها، قابليّة الاختبار هي قابليّة التكذيب أو التفنيد والدحض، ويُمكننا تلخيص ذلك في أنّ محكّ المنزلة العلميّة لنظريّة، هو قابليّتها للتكذيب *(falsifiability)* أو قابليّتها للتفنيد *(refutability)* وهو أيضا قابليّتها للاختبار *"(testability)*[2].

[1] زكرياء بن نحي، "القابلية للتكذيب بوصفها معيارًا لتمييز النظريات العلمية"، *مجلة متون*، مجلد 9، عدد 3 (2016)، ص. 13.

[2] مرجع نفسه.

إن أراء بوبر في التكذيب لم تأتِ من فراغ أو من تأمّل عقلي لا أساس واقعي له، بل كانت نتيجة لإعمال ذهنه **وحسّه النقدي** في قراءة النظريّات العلميّة المعاصرة، ولتاريخ العلوم عموماً، فقد شغلت تفكيره النظريّات السائدة آنذاك، من قبيل نظريَّة ألبرت آينشتاين في النسبيّة، ونظريّة كارل ماركس في التاريخ، ونظريّة سيغموند فرويد في التحليل النفسي، وعلم النفس الفردي لألفرد آدلر، وبمقارنتها لاحظ بوبر الاختلاف الذي يميّز نظريّة النسبيّة عن باقي النظريّات، فقد تبيّن له أنّه يمكن وصفها (أي النظريّة النسبيّة) بأنّها نظريّة قابلة للتكذيب بسبب مخاطرتها **بتنبؤات** تتعاظم احتمالات تكذيبها واقعياً يوماً بعد يوم، بينما يتعذّر ذلك مع النظريّات الأخرى، بسبب تأييد كل الوقائع التاريخيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة لها في جميع الأحوال، لأنّه –في رأي بوبر– يمكن تأويل كلّ حادثة، وفقاً للمنظور الماركسي أو الفرويدي أو الأدلري، ممّا يقضي على أي احتمال لتكذيبها، وهذا يخالف خاصيّة النمو في العلم وطبيعة نتائجه النسبيّة[1].

وفيما يخص **منهج إثبات الزيف**، فهو **وسيلة** للتحقق من الفروض والنظريات عن طريق تفنيدها من خلال مقارنتها مع معطيات ثم الحصول عليها تجريبياً، ويقوم منهج إثبات الزيف على أساس **مسلمة المنطق الشكلي** التي تفيد بأن أي قضية نظرية تكون زائفة إذا كان بعضها منطقياً يلزم عن كثرة من القضايا المتسقة مع بعضها البعض ومبنية على الملاحظة. وانطلاقاً من هذه المسلمة المنطقية، قابل بوبر بين مبدأ التحقق الوضعي الجديد وبين مبدأ إثبات الزيف، ولم يفسر هذا المبدأ باعتباره وسيلة لتحديد إمكانية أن تكون القضية قابلة للفهم، بل باعتباره منهجاً للتمييز بين ما هو علمي وما هو غير علمي، ويقر أن القضايا التي يمكن من حيث المبدأ إثبات زيفها هي فقط القضايا العلمية، أما غير القابلة للزيف فهي ليست علمية"[2].

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 19.

[2] وليد شملال، مرجع سبق ذكره، ص. 24.

العوالم الثلاث عند كارل بوبر:

قدم كارل بوبر في محاضرته عام 1967 تحت عنوان *"إبستمولوجيا بدون ذات عارفة"* ما عُرف لاحقًا بـ **نظرية العوالم الثلاثة**، والتي فرّق فيها بين ثلاثة عوالم معرفية مترابطة لكنها مستقلة جزئيًا –تم ذكرها في المحور الأول–:

1. **العالم الأول**: هو عالم الأشياء الفيزيائية والمادية، مثل الكواكب، الكائنات الحية، الجبال، وحتى الأدوات التقنية. يمثل **موضوع المعرفة**؛ أي ما نحاول أن نعرفه ونفسره.
2. **العالم الثاني**: يضم **حالات الوعي** الفردية كالأفكار، المشاعر، النوايا، الإدراك، وحتى الاستعدادات السلوكية. هو الجانب **السيكولوجي والسلوكي** للإنسان.
3. **العالم الثالث**: عالم **المحتويات الموضوعية للفكر** مثل النظريات العلمية، المسائل الرياضية، الأطر الفلسفية، والمؤلفات الأدبية. رغم أن هذا العالم ناتج عن نشاط العقل البشري، إلا أنه بمجرد إنتاجه يصبح مستقلًا عنه، ويُعامل بوصفه كيانًا قائمًا بذاته قابلًا للنقد والتطوير.

ورغم التمييز بين هذه العوالم، فإن بوبر شدد على أن **العوالم الثلاثة تتفاعل بشكل متبادل** فالعالم الثاني (الوعي البشري) يتأثر بالعالم الأول (الواقع المادي)، كما يُنتج نظريات وأفكارًا تنتمي إلى العالم الثالث، الذي بدوره يمكن أن يُؤثر في وعي الإنسان وتفسيره للواقع[1].

ولدراسة ما جاء في نظريته على العلوم السياسية يمكن اختيار النظرية الواقعية والليبرالية باعتبارهما من أبرز النظريات في علم السياسة والعلاقات الدولية، ويمكن تطبيق مبدأ القابلية للتكذيب عليهما لتمييز مدى علميتهما، فالنظرية الواقعية، التي تفترض أن الدولة تتصرف دائمًا بشكل عقلاني لتعظيم مصالحها الوطنية في بيئة دولية فوضوية، تُواجه صعوبة في القابلية للتكذيب إذا صيغت بطريقة تفسّر كل سلوك دولي على أنه "بحث عن القوة"، إذ يمكن تأويل أي تصرف دولي – حتى التعاون– على أنه شكل من أشكال القوة أو المصلحة، ما

[1] مرجع سبق ذكره، ص ص. 30–31.

يجعلها غير قابلة للدحض فعليًا، أما النظرية الليبرالية، حين تدّعي أن "زيادة الترابط الاقتصادي بين الدول يقلل من احتمالات نشوب الحروب"، فهي أكثر قابلية للاختبار والتكذيب، إذ يمكن التحقق من صحة هذا الافتراض عبر دراسة حالات تاريخية لدول مترابطة اقتصاديًا اندلعت بينها نزاعات. وعليه، فإن النظرية الليبرالية – بصيغتها التجريبية – تقترب أكثر من المعايير العلمية التي وضعها بوبر، في حين تقع الواقعية في خطر التفسير الشمولي إذا لم تُصغَ فرضياتها بشكل يسمح بتفنيدها في ضوء الواقع.

المحور التاسع: البرامج البحثية عند إمري لاكاتوش

مضامين البرنامج البحثي:

تنطلق نظرية لاكاتوش من مقولة إيمانويل كانط: "فلسفة العلم بدون تاريخ العلم هي خواء، وتاريخ العلم بدون فلسفة العلم هو تاريخ أعمى"، حيث تؤكد على ضرورة تجاوز القضايا العلمية الجزئية نحو النظر في النسق العلمي ككل، واعتباره ميدانا للتجريب والتمحيص، لا يرى لاكاتوش أن مركزية العلم تكمن في وحدته الموضوعية أو المنهجية، بل في **البرنامج البحثي**، الذي يتكون من **نواة صلبة وحزام واقٍ** من **الفرضيات الثانوية**. ويؤكد لاكاتوش أيضا على العلاقة الجدلية بين فلسفة العلم وتاريخ العلم، ففلسفة العلم سيرورة تاريخية تنشأ داخل العلم وتخضع للتقييم والتقويم، أما تاريخ العلم فهو مشروع خارجي ذو طابع إمبريقي وتجريبي، وبالتالي فإن تطور العلم يجب أن يُفهم من خلال تفاعلهما المتبادل[1].

وعليه تأثر لاكاتوش في أعماله، خاصة في نظريته حول "ميثودولوجيا برامج الأبحاث العلمية"، بفلسفة العلم، ومنحها طابعًا ديناميكيًا وتاريخيًا، فهو لم يتعامل مع العلم كمجموعة من القواعد الثابتة أو المفاهيم المجردة، بل أضاف إليه بعدًا تاريخيًا يُظهر أن تطور المعرفة العلمية يتم عبر الزمن وبفعل تراكم التجارب والنقد، ومن هنا، أصبحت فلسفة العلم عنده مرتبطة ارتباطًا جدليًا بتاريخ العلم، أي أن فهم العلم لا يكتمل دون النظر في كيفيّة تطوّره فعليًا عبر الزمن، وقد استلهم لاكاتوش أفكاره من "النماذج الإرشادية" لتوماس كون و"الاستراتيجيات العقلية" لستيفن تولمن[2].

نظرية لاكاتوش يمكن اعتبارها قواعد عقلانية شاملة لتطور المعرفة العلمية، تؤسس لمنهجية برامج البحث العلمي، والتي تُعد وسيلة للتقييم المقارن بين النظريات العلمية، هذه البرامج البحثية هي مجموعة من **القواعد المنهجية والموضوعية** التي تحدد طرق البحث دون

[1] فاطمة بقدي، مرجع سبق ذكره، ص ص. 45-46.

[2] وليد شملال، مرجع سبق ذكره، ص. 37.

إهمال القضايا الأساسية التي تشكل نواة النظرية العلمية، ينتقد لاكاتوش دوغمائية الفصل بين ما هو علمي وغير علمي، ويرى أن هذا الفصل يقوم على افتراضين خاطئين: الأول وجود حدود سيكولوجية بين الفرضيات النظرية والواقعية، والثاني وجود فرضيات تكفي سيكولوجيًا لتأكيد النظريات الواقعية، وهو ما لا يصح إلا إذا بُرهنت تلك الفرضيات واقعياً[1].

تبرز أهمية البرامج البحثية من خلال الاستفادة من ردود الفعل حول القضايا الأساسية، حيث تؤدي هذه الردود إلى بناء فروض جديدة دون المساس بالنواة الصلبة للنظرية، ويحدث التطور العلمي عبر بناء فرضيات مساعدة لتفسير الغموض والكشف عن حقائق جديدة، وتُقيّم البرامج البحثية من خلال قدرة هذه الفرضيات المساعدة على التفسير والتجديد المعرفي، فإن نجحت، ساهمت في تقدم العلم؛ وإن فشلت، عُد البرنامج منتهيًا إلى أن يظهر برنامج بديل أفضل.

ويؤكد لاكاتوش أن التفكير العلمي يقوم على مواجهة النظريات بالوقائع، ويشترط أن تكون النظريات مدعومة بالتجربة، لكنه يرى في الوقت نفسه أنه لا توجد نظريات صحيحة دائمًا، بل توجد فقط نظريات أقل خطأ من غيرها، رافضًا وجود أي دور للعوامل اللاعقلانية في تطور المعرفة العلمية[2].

واعتبر أن الوحدة الأساسية في العلم ليست "النظرية"، بل "البرنامج البحثي"، الذي يتكون من نواة صلبة تحيط بها فرضيات مساعدة تُشكّل ما يُعرف بالحزام الواقي. النواة الصلبة تتضمن المبادئ الأساسية أو الفرضيات التي لا تُخضع للاختبار أو التفنيد مباشرة، لأنها تمثل الإطار المرجعي الذي يدافع عنه الباحثون. أما الحزام الواقي فهو مجموعة من الفرضيات الثانوية القابلة للتعديل والتفنيد، ويُستخدم للدفاع عن النواة وتفسير الظواهر العلمية، مما يضمن للبرنامج البحثي نوعًا من المرونة والتكيف[3].

[1] فاطمة بقدي، مرجع سبق ذكره، ص. 46.

[2] مرجع نفسه.

[3] وليد شملال، مرجع نفسه، ص. 37.

أنواع البرامج البحثية:

يميّز لاكاتوش بين نوعين من البرامج البحثية:

- **البرامج التقدمية:** وهي التي تنجح في تقديم تفسيرات جديدة وتوليد تنبؤات دقيقة، ما يدل على قدرتها على توسيع المعرفة العلمية.
- **البرامج الانتكاسية:** وهي التي تعجز عن التفسير رغم التعديلات المستمرة في فرضياتها المساعدة، فتفقد فاعليتها تدريجيًا.

هذا التمييز يُظهر أن العلم لا يتقدم لمجرد تراكم الفرضيات، بل بقدرة البرنامج على تفسير ما هو غامض، واستشراف ما هو غير مكتشف، وإذا أصبح البرنامج يُقدّم فقط تبريرات دون كشف جديد فإن مصيره التلاشي[1].

كما يميز لاكاتوش بين نوعين من التغيير داخل العلم:

- **التغيير ضمن البرنامج :*(intra-program)*** ويحدث عندما يتم تعديل الحزام الواقي فقط، دون المساس بالنواة الصلبة، ويُعد هذا الشكل من التغيير جزءًا من التقدم الطبيعي للعلم.
- **التغيير بين البرامج :*(inter-program)*** ويحدث عندما يُصبح من الضروري تغيير النواة الصلبة نفسها بسبب فشل البرنامج في تفسير الظواهر، مما يؤدي إلى الانتقال إلى برنامج بحثي جديد تمامًا.

وبهذا يكون التغيير الأول دليلاً على مرونة البرنامج وقدرته على التكيف، أما التغيير الثاني فهو بمثابة "ثورة علمية مصغّرة"، يتم فيها التخلي عن النموذج القديم لصالح آخر أكثر فعالية[2].

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 38.

[2] مرجع نفسه.

ويرى لاكاتوش أن التقدم العلمي لا يحدث نتيجة صراع غير عقلاني أو فوضوي، بل من خلال تقييم عقلاني لبرامج البحث: البرنامج الذي ينجح في توليد فرضيات قابلة للاختبار وتقديم تفسيرات أوسع هو الذي يستمر، أما إذا أخفق برنامج ما في ذلك، فإن العلماء لا يتخلون عنه مباشرة، بل يُجرون تعديلات عليه؛ ولكن إن استمر الفشل، يُصبح من العقلاني البحث عن برنامج بديل أكثر قدرة على التفسير، ومن هنا يتم الانتقال إلى برنامج جديد، دون أن يعني ذلك أن العملية كانت غير عقلانية أو عشوائية[1].

[1] مرجع سبق ذكره، ص. 38.

قائمة المراجع

1. أزبوش، سامية .*النموذج العلمي عند توماس كون* .رسالة ماجستير، جامعة الجزائر 2، قسم الفلسفة، تخصص المنطق وفلسفة العلوم، 2016–2017.

2. أنور، محمد فرج .*نظرية الواقعية في العلاقات الدولية: دراسة نقدية مقارنة في ضوء النظريات المعاصرة* .أربيل: مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، 2007.

3. إيجر، أمينة .*مطبوعة في مقياس نظرية العلاقات الدولية، السنة الثانية جذع مشترك، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجزائر 3*. 2019.

4. الجابري، محمد عابد .*مدخل إلى فلسفة العلوم* .الطبعة السابعة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.

5. بلخضر، طيفور .*محاضرات في إبستيمولوجيا علم السياسة* .تيارت: جامعة ابن خلدون، د س ن.

6. بن نحي، زكرياء. "القابلية للتكذيب بوصفها معيارًا لتمييز النظريات العلمية ".*مجلة متون* 9، عدد 3 (2016).

7. بن فريحة، هيام. "الإبستمولوجيا والتحليل المركب للمفاهيم والظواهر في العلوم السياسية والعلاقات الدولية ".*المجلة الجزائرية للسياسات العامة*، العدد 13 (جوان 2017).

8. بقدي، فاطمة .*مطبوعة في مقياس إبستمولوجيا علم السياسة* .الجزائر: كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة الجزائر 3، 2021–2022.

9. الفقيه، بلال. "المنهج الشكي بين المنقذ من الضلال للغزالي ومقال عن المنهاج لديكارت، ATEBE، العدد 10، (2023)، https://doi.org/10.51575/atebe.1391291

10. حسن، عبد الحميد. *نظرية المعرفة العلمية (الإبستمولوجيا)*. ترجمة روبير بلانشيه. مطبوعات الجامعة، 1977.

11. خدومة، نوقاس، وخيرة رياح. *القطيعة الإبستيمولوجية عند غاستون باشلار*. مذكرة ماستر في الفلسفة، جامعة ابن خلدون تيارت، 2015.

12. خوني، ضيف الله، ولخضر حميدي. *دراسات وأبحاث في الفلسفة الغربية الحديثة والمعاصرة*. الجزائر: دار صبحي للطباعة والنشر، 2014.

13. درزيك، جون س. *الثورات المعرفية والتحولات الرئيسية في علم السياسة*. ترجمة: عادل زقاغ. تم الاطلاع يوم 06 /06/ 2025 http://bit.ly/4lgMkht .

14. رزيوق، ليليا. "المنهج ومسألة القطيعة الإبستيمولوجية عند غاستون باشلار". *مجلة آفاق للعلوم*، جامعة زيان عاشور بالجلفة، 6، عدد 1 (2021).

15. ساحلي، مبروك. "الثورات العلمية في علم السياسة". *مجلة آفاق للبحوث والدراسات*، 5، عدد 1 (2022).

16. شملال، وليد. *أبستمولوجيا علم السياسة: محاضرات ألقيت على طلبة السنة الثانية علوم سياسية، جذع مشترك*، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3، 2020/2019.

17. صليبا، جميل. *المعجم الفلسفي*. الجزء الثاني. لبنان: دار الكتاب اللبناني، 1972.

18. الطلافيح، ضحى. "تعريف الشك في الفلسفة." نُشر في 29 أغسطس 2022. تم الاطلاع يوم 06 /06/ 2025. http://bit.ly/3TuOqhI .

19. " .———ما هو الشك المنهجي." نُشر في 09 مارس 2023. تم الاطلاع يوم 06 /06/ 2025. http://bit.ly/4lAZXru .

20. العتابي، ليث. "مدخل عام إلى القيم أو الأكسيولوجيا." معهد الدراسات الدينية والفلسفية، 4 نوفمبر 2024. تم الاطلاع يوم 25 /06/ 2024 . http://bit.ly/3TIrnA7

21. كون، توماس .*بنية الثورات العلمية*. ترجمة حيدر حاج إسماعيل. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2007.

22. "القطيعة الإبستمولوجية عند غاستون باشلار: التحليل النفسي للعلم." 26 ديسمبر 2019. تم الاطلاع يوم 06 /06/ 2025 http://bit.ly/3U5NJLQ .

23. عارف، محمد نصر .*إبستيمولوجيا السياسة المقارنة*. الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 2002.

24. محمود، زكي نجيب .*نظرية المعرفة*. القاهرة: وزارة الإرشاد القومي، 1956.

فهرس المحتويات

- مقدمة 01
- إشكالية المقياس 02
- أهداف المقياس 02
- نتائج التعلم..... 03
- شبكة التقييم..... 03
- **المحور الأول:** مدخل إلى الابستمولوجيا..... 05
- **المحور الثاني:** جدلية الشك المعرفي واليقين الابستمولوجي في بناء المعرفة (مقارنة بين ديكارت والغزالي.....14
- **المحور الثالث:** التراكم المعرفي في تطور علم السياسة..... 24
- **المحور الرابع:** القطيعة الإبستمولوجية في علم السياسة 32
- **المحور الخامس:** العوائق الإبستمولوجية حسب غاستون باشلار 37
- **المحور السادس:** مبدأ الثورات المعرفية في علم السياسة..... 42
- **المحور السابع:** النماذج المعرفية توماس كون في دراسة علم السياسة..... 46
- **المحور الثامن:** النسبية العلمية في دراسة ونقد نظرية المعرفة عند كارل بوبر... 50
- **المحور التاسع:** البرامج البحثية عند إمري لاكاتوش..... 54
- قائمة المصادر والمراجع 58